جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية

Naif Arab University For Security Sciences

الإرهاب بين الأسباب والنتائج في عصر العولمة
تساؤلات تبحث عن إجابة

أ.د. عبدالعاطي أحمد الصياد

٢٠٠٢م

الإرهـــاب
بين الأسباب والنتائج في عصر العولمة
تساؤلات تبحث عن إجابة

أ.د. عبدالعاطي أحمد الصياد

الإرهاب
بين الأسباب والنتائج
في عصر العولمة ـ تساؤلات تبحث عن إجابة

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف المنهجي على الفكر البحثي في مجال الإرهاب عربياً وأجنبياً من أجل العثور وحصر المتغيرات والعوامل التي من المتوقع أن تكون لها علاقة بالإرهاب، وربما علاقات بين بعضها البعض وقد تكون هذه العلاقات كلها أو بعضها سببية (Causal)، ومن ثم العثور على الهدف النهائي للدراسة، وهو العثور على تصور نظري سببي لمتغيرات الظاهرة مع اقتراحات لكيفية حسابه وبنائه، والذي إذا ما بنى، فإنه سوف يساهم في فهم ظاهرة الإرهاب بما ترتبط به من متغيرات وعوامل فهما أمبريقياً علائقياً سببياً موضوعياً قابل للفهم المتبادل وربما الاقتناع من أطراف عديدة متباينة.

مفاهيم وتعريفات الإرهاب

تعددت مفاهيم وتعريفات الإرهاب مما جعل أمر قياسه موضوعياً في غاية الصعوبة، وفيما يلي نعرض لذلك آملين الانتهاء بتعريف موضوعي قابل للقياس.

١ـ مفهوم الإرهاب بين القرآن والاستشراق

قال الله تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ..** ﴿٦٠﴾ ﴾ (الأنفال، ٦٠).

وقال سبحانه وتعالى في سورة الأعراف : ﴿ **قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ** ﴿١١٦﴾ ﴾(الأعراف، ١١٦).

ومن الآية الأولى، الأنفال، يمكن أن نفهم تعريفا للإرهاب كالآتي: «قوة كامنة شرعية عادلة لم تفعل بعد يستشعرها عدو الله وعدو الناس فتردعه».

ومن الآية الثانية، الأعراف، يمكن أن نستدل على تعريف لشيء آخر يمكن أن نسميه بالاسترهاب كالآتي : «قوة غاشمة مزيفة وغير شرعية ومضللة فعلت أمام أعين الناس لتسحرهم وتثنيهم عن طريق الصواب وتجبرهم على إتباع باطل».

الكردي (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م) أيضاً وتحت عنوان «الترجمة الانجليزية للقرآن . . خطر !!» أوضح أن أول ترجمة للقرآن العظيم إلى اللغة اللاتينية التي صدرت في أوروبا في القرن الحادي عشر للميلاد «بين (١١٤١م ـ١١٤٣م) بطلب من «بطرس» المبجل راهب دير «كلوني» بفرنسا والتي نشرت بعد أربع قرون !! وكذلك الترجمة التي قام بها الكسندر روسي وطبعت أول مرة في لندن عام ١٦٤٨م أوضح أن هاتين الترجمتين للقرآن الكريم وغيرها من كتابات وترجمات على يد المستشرقين ـ أن كلمة «ترهبون» ترجمت إلى (To Strike Trerror) وكلمة (Terror) تعني الترويع وقتل الأبرياء، وهو ما يعرف في المحافل الدولية التخويف والردع المعنوي لعدو الله وعدو الناس.

ومع احترامنا الشديد لمجمع اللغة العربية الموقر وافتراضنا أن المستشرقين ترجموا القرآن خطأ بسبب جهلهم بأسرار اللغة العربية، فإنه لا تزال ترجمتهم وعلى حد قول الكردي ـ وهو قول نتفق معه فيه تماماً ـ تدين الإسلام والمسلمين وتجعلهم قتلة للبشرية !!!.

والآن الحاجة ماسة للتصحيح ولنسمي الشيء بما يستحق أن يسمى به، واننا نميل إلى تسمية (Terrorism) بالاسترهاب أو بالارعاب أو بالاذعار، والميل أكثر إلى المعنى القرآني «الاسترهاب»، فليكن ما تعانيه البشرية «استرهاباً وليس إرهاباً».

٢ ـ تعريفات أقليمية ودولية وبحوثية للإرهاب

أ ـ التعريف العربي

«الإرهاب كل فعل من أفعال العنف والتهديد أياً كانت بواعثه أو أغراضه، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو الحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة، أو احتلالها أو الاستيلاء عليها، أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر» (الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب، في الجحني ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، ص ٣٦٣).

ب ـ التعريف الفنزويلي :

«كل استخدام للعنف ـ أو التهديد به ـ يعرض للخطر أو يهدد حياة الأبرياء، أو يخاطر بالحريات الأساسية يرتكبه فرد أو مجموعة من الأفراد على إقليم دولة أجنبية، أو في أعالي البحار، أو على متن طائرة في حالة طيران فوق البحار المفتوحة، أو في أعالي البحار، أو على متن طائرة في حالة طيران فوق البحار المفتوحة بعد إثارة الفزع لتحقيق هدف سياسي، ذلك بالإضاف إلى أعمال الإرهاب الدولي غير الإنسانية التي تتخذها الأنظمة الاستعمارية العنصرية» (الجحني، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص ٢١).

ج ـ التعريف الفرنسي

«عمل مستهجن يتم ارتكابه على أقليم دولة أخرى، بواسطة أجنبي ضد شخص لا يحمل نفس جنسية الفاعل بهدف ممارسة الضغط في نزاع لا يعد ذا طبيعة داخلية» (الجحني، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص ٢١).

د ـ التعريف الأمريكي

أورد الـ (U.S.Department of State) (وزارة الخارجية) في نشرة عن الإرهاب والتي سمح بها في (٣٠ أبريل ٢٠٠١م) تعريفاً للإرهاب وذلك بعد أن أقرت هذه النشرة أنه لا يوجد تعريف نال الاعتراف العالمي (No one definition of terrorism has gained universal accaptance).

ـ الإرهاب يعني عنفاً بدافع سياسي يرتكب ضد غير المحاربين أو غير المقاتلين أو غير المنازعين أو غير المخاصمين (Non combatant) موجه (Targests) بواسطة مجموعات قومية (Subnational Groups) أو وكلاء خائنين (Clandestine Agents)، وهذا العنف عادة ما يهدف إلى التأثير على مستقبليه (Influence and adnience).

ـ والمصطلح «الإرهاب الدولي International Terrorism» يعني الإرهاب الذي يكون من مواطنين أو جهات أو مقاطعات (Territory) من أكثر من قطر أو بلد أو وطن أو أمة (Country).

ـ والمصطلح «مجموعة إرهابية Terrorist Group» يعني أية مجموعة تشارك، أو تلك التي تتكون من مجموعات جزئية (Subgroups) مؤثرة (Significant) والتي تمارس الإرهاب الدولي.

هذا التعريف الأمريكي للإرهاب تتبناه الحكومة الأمريكية منذ عام

١٩٨٣م. وفرق التقرير في عجالة بين نوعين من الإرهاب وهما الإرهاب المحلي (Domestic Terrorism)، والإرهاب العالمي (International Terrorism) مقراً أن الإرهاب المحلي أكثر إنتشاراً من الإرهاب العالمي ولكن التقرير إحصائياً اهتم أكثر بالإرهاب العالمي على أساس، وعلى حد قول التقرير أن الإرهاب الدولي له تأثير مباشر على مصالح الولايات المتحدة الأمريكية!!.

Domestic terrorism is more probably a more widespread phenomenon than international terrorism. Because international terrorism has a direct impact on U.S. Interests, it is the primary focus of this report. However, the report also describes, but does not provide statistics on, significant developments in domestic terrorism.

تُرى هل ستواصل أمريكا تبني نفس التعريف ونفس فلسفة الدراسة والإحصاء والقياس بل لعلنا نقول نفس تحيز الاهتمام بمصالحها فقط في تقرير عام ٢٠٠١م والذي لم يصدر بعد خاصة إذا ما علمنا أن هذا التقرير القادم لن يستطيع أن يغفل أحداث ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١م، أكبر وأبشع عملية إرهابية في تاريخ البشرية الحديث، وربما القديم أيضاً والتي يمكن وصفها بالإهاب المحلي (Domestic) على الطريقة الأمريكية.

هنا يصبح التساؤل البحثي الماثل: هل هناك علاقة بين الإرهاب المحلي (Domestic) والإرهاب العالمي (International)، وما طبيعة هذه العلاقة؟ وكيف تنشأ؟، وقبلاً، لماذا تنشأ؟

كذلك المدقق لتقارير (U.S. Department of States) للأعوام الأخيرة خاصة تقريري عام ١٩٩٩م، و٢٠٠٠م، سوف يتضح له أن التقرير من التفصيل والوضوح بحيث يمكن حصر وتسمية المنظمات الإرهابية ـ من وجهة نظر أمريكا طبعاً ـ بحيث أفرد التقرير لكل منظمة شرحاً يوضح توصيفاً

مفصلاً لها من حيث قوة تنظيمها ومن يرعاها ونشاطاتها حسب اليوم والشهر والعام وعدد الضحايا ونوعياتهم كما يتعرض التقرير لحجم المنظمة من حيث البشر والعتاد.

الغريب أن التقرير غطى جميع حوادث الإرهاب ـ مرة أخرى من وجهة نظر أمريكا ـ في كافة أنحاء العالم ما عدا الولايات المتحدة الأمريكية حتى أن التقرير شمل منظمتي (كاخ وكاهانا الاسرائيليتين Kach and Kahanechai لم يفت التقرير بالطبع أن منظمة حماس إرهابية (Hamas Islamic Resistance Movement) رأساً برأس مثل المنظمتين الإرهابيتين الإسرائيليتين.

يلاحظ على التقرير أيضاً أنه طالما كانت المنظمة أو الدولة معترفاً بها من قبل الأمم المتحدة حتى لو مارست العنف والقوة في فض نزاعاتها فهي ليست إرهابية ولكن يمكن أن تصنف بأنها حاضنة للإرهاب أو أنها أرض عمليات للإرهاب وبناء عليه فالسلطة الفلسطينية ليست سلطة إرهابية كما أن إسرائيل ليست دولة إرهابية !!!.

نقول مرة أخرى تدقيقنا لهذا التقرير ربما يكشف عن تعريف أمريكي آخر للإرهاب ولنسمه التعريف الأمريكي المستنتج للإرهاب من واقع تحليلي للتقارير الأمريكية، نسوق هذا التعريف كالآتي :

الإرهاب سواء إن كان فرداً أو منظمة هو كل من يستخدم القوة والعنف بما فيه تفجير الذات والنفس كقنبلة بشرية، وغير معترف به أو بها من قبل الأمم المتحدة حتى ولو كان استخدام العنف والسلاح دفاعاً عن حقوق مغتصبة وأرض محتلة!!!.

فكأن هذا التعريف المستنتج يبارك إرهاب الدولة أو السلطة أو منظمة

طالما معترف بها من الأمم المتحدة ولا يبارك إرهاب فرد أو منظمة طالما غير معترف بها من نفس الجهة حتى لو كان الإرهاب جهاداً في سبيل عرض أو وطن !!! .

وكأن هذا التقرير يقول للمستضعفين والمقهورين والمحتلة أراضيهم ليس أمامكم إلا خيار التفاوض والحوار ومن خلال دولة أوسلطة أو منظمة معترف بها من قبل الأمم المتحدة !!! .

هـ ـ تعريف الصياد

فرق الصياد (١٩٩٤) بين نوعين من الإرهاب، الأول أسماه «جريمة الإرهاب» والثاني أسماه «إرهاب الجريمة» .

وجريمة الإرهاب عرفها كالآتي : «هي جريمة تحدث بهدف سياسي الغرض منه تقويض أركان الدولة والمجتمع (أحداث ذعر في المجتمع)» .

وجريمة «إرهاب الجريمة» عرفها كالآتي : «هي جريمة حينما تحدث يتخطى أثرها الاجتماعي والنفسي وربما الاقتصادي الضحية الأصلي (المجنى عليه الأصلي) ليشمل ضحايا آخرين في مجتمع الضحية الأصلي (أي حدوث ذعر) مثل جرائم العنف والمخدرات خاصة الإدمان» .

و ـ تعريف ريد (Reid)

في دراسة لـ (Reid,1993) تحت عنوان بحث الإرهاب وفوحان الأفكار (Terrorism Research and the Diffusion of Ideas) حيث درس ريد دور المدرسة غير المنظورة (Invisible College) في تحديد (Shapping) فهمنا (Understanding) حول الإرهاب المعاصر حيث حاول اختبار (Examination) كيف تفاعل باحثو الإرهاب مع غيرهم من منتجي المعرفة

(Knowledge Producers) حتى يمكن بناء (Construct) وحفظ (Maintain) وتعديل (Modify) استقبال (Percepation)، وتطور (Development) الإرهاب. استخدم ريد منهجاً بحثياً أسماه سوسيولوجية المنهج العلمي (ASociology of Science Methodolgy)، حيث يمكن في هذه الطريقة العثور على فهم للظاهرة من خلال تطور وفوحان «انتشار» الأفكار التي تؤثر على مواقع متبناه بواسطة ممثلين عديدين Wide Range of Actors مثل البيروقراطيين الحكوميين، صناع القرار، التشريعيين، والجمهور العادي (Public)، وكيف تفاعل معهم الباحثون في مجال الإرهاب. وتمكن ريد من خلال استراتيجية تكاملية للبحث (Integrated Research Strategy) والتي تتضمن عدداً من الفنيات (Techniques) ومصادر للبيانات مثل الموسوعات (Bibliometrics) وتحليل المحتوى، وتحليل المقتبسات Citation analysis لبحوث منشورة وببلوجرافيات ومؤتمرات ومشاركين ومتعاونين في مجالات الإرهاب ـ تمكن من العثور على نتائج عديدة ـ منها تعريفان للإرهاب ونعرضهما كالآتي :

التعريف (أ)

هذا التعريف ميز المجموعة (أ) من الباحثين حسب تصنيف ريد. والإرهاب في نظر هذه المجموعة هو :

عنف سياسي (Political Violence) استخدم بواسطة مجموعات متمردة (Insurgency Groups). كما أنه في نظر التعريف (أ) أن كل عنف متمرد (Insurgency Violence) إرهاب. وأن سبب هذا الإرهاب هو الرغبة في الانقلاب (Overthrow) على المجتمعات الديمقراطية أو الرغبة في الشوشرة (Chaos) على الحكومات أو الحاجة إلى إحداث اضطراب في

المجتمع وفي النظام القائم (Orderly Existence) وسبب ارتفاع معدل الإرهاب في نظر هذا التعريف هو هزيمة الدول العربية من اسرائيل في حرب عام ١٩٦٧ ، والبزوغ المكثف مرة أخرى (Resurgence) للشيوعيين الجدد (Neo-Marxist) (فكر كارل ماركس السياسي والاقتصادي)، والتروكاسكايست (Trokskyist Left) اليساريين بين مجتمع التلاميذ .

كما أن بروفيل الإرهابيين عند هذه المجموعة من الباحثين (مجموعة أ) يشير للإرهابيين باعتبارهم رجالاً مسعورين (Madmen)، مجرمين، أعضاء في جماعات منبوذة (Disposed Groups)، أناس غير عقلانيين (Irraitonal)، وانتحاريين (Suicidal)، قتلة، خاطفين (Modus Operand, Hijacking) .

وفي ظل هذا التعريف فإن الإعلام (Media) يصنع مسرح الإرهاب، يسبب إرهاباً أكثر، وأن الإرهابيين يستغلون (Exploits) الإعلام .

أما كيف نستجيب للإرهاب في ظل هذا التعريف، فالاستجابة تتراوح بين لا اعتبار (No Concessions)، وأن أفعال الإرهابيين تعتبر أفعالاً إجرامية، وأنهم ليسوا سجناء سياسيين فهم جزء من شبكة عالمية تتمدد من الإرهابيين وأن استخدام الحكومة للقوة في مواجهتهم أمر ضروري .

التعريف (ب)

ميز هذا التعريف المجموعة (ب) من الباحثين حسب تصنيف ريد حيث الإرهاب في وجهة نظرها هو : أفعال رمزية Symbolic acts مصممة للتأثير على السلوك السياسي بوسائل غير معتادة (Extranormal) مثل استخدام أو التهديد بالعنف . أيضا تقرر هذه المجموعة استخدام تكتيكات الإرهاب كاستراتيجية لفعل أو عمل سياسي .

وأسباب الإرهاب من وجهة نظرها هو الخصومة تجاه سياسات معينة، ورموز سياسية معينة بالإضافة إلى وجود طموحات ثورية (Revolutionary Aspirations) لدى الإرهابيين. أيضا الأمور السياسية (Political Issues) مثل فترة تولي إرهابي الحكم، والاستعمار تعد سببا للإرهاب. وأسباب الإرهاب من وجهة نظر هذه المجموعة متعددة (Causes are Mutiple) وتعود إلى تجاهل (Indifference)، وعدم عدالة الحكومة (Opperssion).

أما لماذا يزداد الإرهاب في نظر هذه المجموعة فيعود ذلك إلى الحاجة إلى التواصل (Need for Communication)، طريق للتأكد من جذب انتباه الجمهور، ارسال رسائل خاصة مؤثرة وفيها تحد إلى هدف مختار، واستخدام الإرهاب كوسيلة إستجابية للإرهاب المؤسسي (Institutional Terror).

بروفيل الإرهابيين في ظل تعريف هذه المجموعة فقد جاء كما يلي: أفعال الإرهابيين غالباً تعد ازعاجات اجتماعية (Social Nuisance) أكثر من كونها تهديداً خطيراً للحياة والممتلكات، الإرهابيون من وجهة نظر هذه المجموعة عبارة عن أعضاء في مجموعات تعمل سرياً وغير شرعي (Clandestinely) وعلى فترات متقطعة وغير منتظمة وفي أمكان قليلة (Sporadically)، وأن هذه الأماكن أو المناطق ليست تحت سيطرتهم.

أما عن دور الإعلام في نظر هذه المجموعة (أي المجموعة صاحبة التعريب ب) فهو فبركة (Fabricate) (تقديم ما هو مغلوط) وتضخيم (Intensify) خطر الإرهاب. النشر الواسع (Disseminate)، والتدعيم المتواصل لسياسات الحكومة والتعريف بالإرهاب، كما أن الإعلام من وجهة نظر المجتمع يهمل الأمور ذات العلاقة بإرهاب الدولة أو ما يمكن تسميته الإرهاب من أعلا (Terrorism form above).

أما كيف يمكن الاستجابة للإرهاب فإن هذه المجموعة ترى أن التعاون أمر ضروري للتعرف على أيتولوجية (Etiology) الإرهاب، كما تعتقد هذه المجموعة أنه لا توجد شبكة دولية للإرهاب.

بقي أن نقول أن ريد قام بتحليل محتوى (١١٦٦) منتجاً منشوراً (Publication Medium) ما بين انثولوجيات (Authology) (قصص وأشعار . . إلخ يجمعها كتاب واحد خاص) وفصول لانثولوجيات ومقالات وتقارير وكتب سنوية (Year Books) . . . إلخ. وذلك خلال الفترة من عام ١٩٦٠ حتى عام ١٩٩٠م. ويلاحظ من التوزيع الإحصائي لهذه المنتجات العلمية أن الفترة من ١٩٦٠ إلى ١٩٦٩ م شهدت (٢٩) منتجاً، والفترة من ١٩٧٠ إلى ١٩٧٨م شهدت (٤٦٨) منتجاً، والفترة من ١٩٧٩ إلى ١٩٨٥م شهدت (٥٠٢) منتجاً ثم الفترة بين عام ١٩٨٦ حتى عام ١٩٩٠ شهدت (١٦٧) منتجاً.

ز ـ تعريف عيد

بعد استعراض العديد من مئات التعريفات عن الإرهاب انتهى عيد (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ١٧) إلى تعريف للإرهاب كما يلي :

«عمل غير مشروع من أعمال العنف يهدف إلى بث الرعب والفزع داخل مجتمع ما أو شريحة منه بقصد تحقيق هدف سياسي، ولا يعد إرهاباً الكفاح المسلح للشعوب الخاضعة للاحتلال الأجنبي من أجل تحرير أراضيها المحتلة، والحصول على حقها في تقرير مصيرها واستقلالها وفقاً لميثاق وقرارات الأمم المتحدة التي تحرم إيذاء الأبرياء».

المدقق للتعريفات التي سيقت للإرهاب في حدود هذه الورقة البحثية وما سبقها من دراسات وبحوث سوف تزداد قناعته أنه لا يوجد تعريف

دقيق أو تعريف جامع مانع كما يقول المناطقه الأولين. لذا فهذه التعريفات تعد من نوع التعريفات الغائمة أو المائعة أو الغامضة (Fuzzy)، على حسب قول (أبوحطب، ١٩٩٩م)، حينما تحدث عن تعريف العولمة والذي يواجه نفس الصعوبات وخاصة في عصر ما بعد الوضعية وما بعد الحداثة، وعليه يصبح التعريف جزءاً من سياق لغوي تناولته مجموعة لغوية معينة. لذلك فليس غريباً أن نسمع ونعرف تعريفاً عربياً للإرهاب وتعريفاً أمريكاً للإرهاب وتعريفاً فرنسياً . . إلخ. !!!.

ونقترح حلا منهجياً لهذه الأشكالية في التعريف ونقول : فلتصغ كل لغة أو كل ثقافة أو كل أيدولوجية . . . إلخ. تعريفها الخاص بها، ثم يدرس ويبحث كل صاحب تعريف المتغيرات والعوامل ذات العلاقة بالإرهاب سبباً أو نتيجة. هذه المتغيرات والعوامل من المتوقع أن لا تختلف كثيراً من حيث مسمياتها وطرق قياسها من بيئة تعريف لآخر ولتعثر كل بيئة تعريفاً معيناً للإرهاب على النموذج أو النظرية الأمبيريقية، ونؤكد مرة أخرى على النموذج أو النظرية الأمبيريقية وليس فقط على الطرح النظري الذي شاع حالياً في مجالات دراسة وبحوث الإرهاب تقريباً في كل البيئات البحثية.

الآن تتوفر عدة نماذج أو نظريات أمبيريقية تجري بحوثاً أمبيريقية أيضاً على هذه النماذج والنظريات بهدفين أساسيين وهما :

- العثور على مقارنة أمبيريقية بينها.
- أحداث تكامل أمبيريقي بين هذه النماذج والنظريات في سبيل الحصول على نظرية أمبيريقية أو نموذج أمبيريقي عام لتفسير ظاهرة الإرهاب عولمياً تضع في إعتبارها العلاقة والتي قد تكون سببية بين تعريف معين للإرهاب وتعريف أو تعريفات أخرى له من بيئات وثقافات أخرى.

وعليه فإننا نرى على الأقل منهجياً الانتقال من اشكالية التعريف إلى إشكالية المنهج العلمي العقلاني الذي لا دين ولا وطن له تماماً مثل الإرهاب الذي يقول عنه البعض أنه هو الآخر لا دين ولا وطن له. حينئذ قد نكتشف أننا في خلاف تنظيري إذا ما حسب أمبيريقيا، فقد نجد أنفسنا نتحدث عن وجهي عملة واحدة أو عن عملتين أو أكثر حيث قابلية حساب العلاقة بينهما أمراً ممكنا وربما ميسوراً.

ح ـ أنواع الإرهاب

إن أية دراسة تتبنى تعريفاً عاماً للإرهاب كما هو شائع الآن سوف تنتهي إلى توصيات يصعب الإمساك بها في أرض الواقع العملي الميداني للظاهرة خاصة إذا ما كانت الدراسة نهجت طرحاً نظرياً بعيداً عن الأمبيريقية، وأن الأمبريقية لن تكتمل بل لعلنا نقول لن تتم إلا إذا تبنى الباحثون تعريفات اجرائية لمتغيراتهم ومنها الإرهاب، قابلة للقياس (Measurable)، إن لم تكن قد قيست بالفعل.

لذا فإن إحدى مستلزمات المنهج العلمي الرصين خاصة الأمبيريقي منه أن متغيرات وعوامل ظاهرة معينة وهي هنا الإرهاب يجب أن تكون معرفة تعريفاً جيداً قابلاً للقياس كما أسلفنا، وأن القابلية للقياس تكون ممكنة أكثر إذا ما تم تحويل التعريف العام إلى تعريفات فرعية اجرائية ينظم العلاقة بينها نسق (System)، هذا النسق في تكامله يصنع التعريف العام. أيضاً يمكن القول أنه غالباً في الدراسات الأمبيريقية إذا ما تمكنا من قياس المتغيرات الفرعية للنسق فإنه يمكن أمبيريقيا بناؤه، ومن ثم قياس التعريف العام بل وتسميته تسمية تحوز اعتراف ومباركة أطراف بحثية تبدو متعارضة إذا ما كانت بدايتها في دراساتها الأمبيريقية هي التعريف النظري العام.

لذلك فنميل إلى تعريف الإرهاب من خلال أنواعه فربما يجد الباحثون مناطق اتفاق بينهم فضلاً عن توفر ميزة امكانية القياس، ومن هذا المنطلق نعدد أنواع الإرهاب كما يلي:

١ ـ الإرهاب الأيدولوجي.

٢ ـ الإرهاب الوطني.

٣ ـ الإرهاب العرقي.

٤ ـ الإرهاب الديني.

٤ ـ الإرهاب اللغوي.

٦ ـ الإرهاب المرضي.

٧ ـ إرهاب السلطة.

٨ ـ إرهاب المقهورين.

٩ ـ إرهاب المخدرات.

١٠ ـ إرهاب الشركات التجارية.

عيد (١٤٢٠هـ/ ١٩٩١م)، Byman (1998), Bouchart (1996), Hoffman (1990), Lewis (1990), Emerson (1995), Chyba (20001), Emerson (1995).

١١ ـ الإرهاب الدبلوماسي، الجحني (١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).

١٢ ـ الإرهاب البيولوجي ـ كيميائي (C-B terrorism).

Bucevich (2001), Birder (1996), Tucker (1996), Garrett (2001), Henderson (1999).

١٣ ـ الإرهاب التكنولوجي (Cber Terrorism-Net Ware)

(Bowers & Kimberly, 1998), (Zanini, 1999)

١٤ ـ الإرهاب الكارثة (Catastrophic Terrorism) : (Carter, et. al. 1998), Hoffman (1994).

١٥ ـ الإرهاب البيئي (Environmental Terrorism) : (Chalecki, 2002,) تحت النشر. (Emerson, 1991)

٦ ـ الإرهاب النووي (Young, 1995), Falkenrath, 2001)

١٧ ـ الإرهاب بالوصم. مثل كل ما من هو عربي إرهابي وخاصة إذا كان له لحية!

١٨ ـ الإرهاب بالتقليد أو إرهاب المراهقين (جريدة الشرق الأوسط ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م يوم ٧يناير ص ١).

تعدد أنواع الإرهاب والتي وصلنا فيها إلى ثمانية عشر(*) نوعاً للإرهاب لا يجب أن تزعج الباحثين في مجال الإرهاب وذلك لتعدد الفوائد من جراء ذلك ليس فقط في تحديد مسئولية مقاومة ومكافحة الإرهاب والتي تقع حالياً على عاتق القوات الأمنية والقوات العسكرية بل أيضاً فإن هذا التفريع لأنواع الإرهاب سوف يساعد النظم القضائية والتشريعية في سن القوانين والتشريعات الملائمة (Beres,1995).

ولعلنا نضيف إلى ما وصل إليه (Bers) فإننا بتعريفنا لأنواع الإرهاب سوف يسهل علينا منهجية البحث والدراسة خاصة الأمبيريقية منها، كما أنه سوف يرقى بتوصيات البحوث والدراسات في مجال الإرهاب لتنتقل من الأكاديمية النظرية أو المعملية إلى الأكاديمية التطبيقية الميدانية مما يسهل

(*) عدد أنواع الإرهاب في شكل رقم (٧) بنهاية الورقة البحثية احتوى على ٢٢نوعاً من الإرهاب.

صناعة قرارات (Decisions Making)، تسهل وتمكن متخذي القرارات (Decsions Taking) من تطبيق القرار أو القرارات المناسبة، كما أن المجتمع العلمي في عالم العولمة سوف يعثر على مجالات اتفاقه ومجالات اختلافه موضوعياً في مجال الإرهاب والتي توقفت عن متاهة التعريف بالإرهاب نظرياً وايدولوجياً، والتي عمقت الخلافات ووسعت الهوات بين الباحثين وبين الدول.

٣ـ مفهوم وحجم ظاهرة الإرهاب وبعض مدلولاتها الإحصائية

أ ـ مفهوم الظاهرة

هناك خطأ شاع بين الباحثين على أن الظاهرة هي حدث تكرر تكراراً كافياً، وإذا كان الأمر كذلك فإن إجمالي عدد القتلى في حوادث الإرهاب وربما في الثلاثين سنة الأخيرة في كل أنحاء العالم ربما لا يساوي عدد الذين قتلوا في أحد الزلازل المدمرة التي شهدتها البشرية في نفس الفترة، ورغم ذلك فإن موضوع الزلازل لا يحظى بما يحظى به موضوع الإرهاب على الرغم من أن كلاهما احتمال حدوثه يتصف بما يسميه الرياضيون والإحصائيون بالحدث النادر، وهو الحدث صاحب الاحتمال المنخفض.

هنا يمكننا أن نقدم تعريفاً آخر للظاهرة في مناهج البحث وهو أن الحدث يصبح ظاهرة بحدته وبما يترك من آثار، والإرهاب نعم نادر الحدوث ولكنه حاد الآثار وأصاب (Liuma,1999) حينما عنون بحثه (: Terrorism Low Probability, High Consequence)، وترجمته للعربية (الإرهاب : احتمال منخفض، عال الآثار) وتتمثل حدة الآثار عند (Liuma) في التأثيرات السيكلوجية، ونشأة الأزمات السياسية. بكلمات أخرى تعرض الطمأنينة النفسية والإحساس بالأمن والأمان عند الناس للخطر.

وهنا فلنتذكر المثل الشعبي العربي القائل «وقوع البلاء ولا إنتظاره»، ولذلك تساءل (Halkides,1995) كيف لا ندرس الإرهاب (How not to studyterrism).

بقي أن نقول كون أن الإرهاب حدث نادر الحدوث خصوصاً إذا ما فرعناه لأنواعه السبعة عشر السابقة التنويه عنها فإن الإحصاء الكلاسيكي الشائع الاستخدام قد يكون قاصراً منهجيا في دراسة هذه الظاهرة من الناحية الكمية الأمبيريقية خصوصاً وأن ظاهرة الإرهاب ظاهرة ديناميكية وليست استاتيكية على حد قول (Hamilton & Jomes,1983)، وفي رأيهما أن هناك مناقشات متناقضة حول ديناميكية الإرهاب والتي لم يعتن بها بعد كميا (Quantitative) في البحث الاجتماعي، وأن البحث عن نماذج ليس فقط ديناميكية ولكن استوكاستيكية (Stochastic Models) اجتماعية أصبح أمراً ملحاً في مجال دراسة الظاهرة، وهنا يصبح تدخل علماء وباحثي الرياضيات البحته والاحتمالات وبحوث العمليات والمحكاة مجال دراسة ديناميكية واستوكاسيتيكية الإرهاب أمراً مطلوباً حتى لا يحدث تناقض بين الباحثين الأمبيريقيين الكلاسيكيين في هذا المجال. ومن أمثال هذه الدراسات الكمية النادرة دراسة أجراها (Brophy-Baermann & John, 1994)، حينما استخدموا تطبيقا لما يمكن تسميته بنظرية التوقعات المنطقية من خلال استخدام تصميم إحصائي يسمى بنموذج السلاسل الزمنية التدخلي (ATime Series Intervention Model).

كما أن هناك دراسة أخرى على غرار الدراسة السابقة أجراها (Enders & Todd,1999) استخدما فيها السلاسل الزمنية لتعقب سلوك السلسلة الأمنية للإرهاب وأثر نهاية الحرب الباردة على تصرف هذه السلسلة

من حيث الاتجاة والموسمية ومن ثم قدرة السلسلة على التنبوء والتفسير لظاهرة الإرهاب.

ب ـ حجم ظاهرة الإرهاب وبعض مدلولاتها الإحصائية

الأشكال من رقم (١) حتى رقم (٥) توضح توزيعاً إحصائياً وبيانياً لصفات ست لظاهرة الإرهاب حسب التعريف الأمريكي للإرهاب والذي سبق التنويه عنه في هذه الورقة.

هذه الأشكال أصدرها (U.S. Department of States) (وزارة الخارجية) في نشرته التي صدرت في ٣٠ أبريل ٢٠٠١م. شروط بناء الشكل رقم (١) والخاص بـ«إجمالي هجومات الإرهاب الدولي موزعة على الأعوام من عام ١٩٨١م وحتى عام ٢٠٠٠م)أسفل الشكل مدونة بالإنجليزية حسبما أخرج التقرير، وترجمتها كالآتي :

«في الأعوام السابقة، أحداث العنف الخطيرة التي أرتكبت بواسطة فلسطينيين تجاه فلسطينيين في المناطق المحتلة اشتملت عليها قاعدة بيانات الإرهاب الدولي في كل أنحاء العالم لأن الفلسطينيين أعتبروا أناساً بلا وطن، وهذا أدى إلى أن مثل هذه الحوادث البينية للفلسطينيين عوملت بطريقة مختلفة عن حوادث العنف البين-عرقية في أماكن أخرى من العالم.

في عام ١٩٨٩، وكنتيجة لمراجعة أخرى لطبيعة العنف «الفلسطيني-فلسطيني» فإن مثل هذا العنف توقف تضمينه في قاعدة بيانات الحكومة الأمريكية الإحصائية والخاصة بالإرهاب الدولي. البيانات الرقمية في الشكل من العام ١٩٨٤م حتى العام ١٩٨٨ روجعت لحذف حوادث العنف الفلسطينية ـ الفلسطينية مما جعل قاعدة البيانات متسقة.

الفحوصات التي تجرى لحوادث الإرهاب أحياناً تعطي شواهد تُلزم التغيير في المعلومات السابقة عن الحوادث السابقة والتي اعتبرت حقيقية (مثل ما إذا كانت الحادثة ينطبق عليها تعريف الإرهاب الدولي، والمسئول عنها مجموعة أو دولة، أو عدد الضحايا الذين قتلوا أو أصيبوا) كنتيجة لهذه التصحيحات، فإن الإحصاءات المعطاة في هذا الشكل أو التقرير ربما تختلف قليلاً عن نظيرتها في التقارير السابقة».

الشروط السابقة أيضاً قد تكتسب أهمية مضافة إذا ما قارنا بين بيانات الأشكال من رقم (١) حتى رقم (٦) بالبيانات التي أوردها عيد (١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، ص ٣٠) للفترة من عام ١٩٧١م إلى عام ١٩٩٧م. تحت ما أسماه شكل رقم (١) والذي استمد عيد بياناته من نفس المصدر الأمريكي الذي استمدينا منه مصادر بيانات هذه الورقة البحثية لا اختلاف تقريباً إلاّ أن عدد الحوادث الإرهابية لعام ١٩٨٣م عند عيد (٤٩٧)، وفي ورقتنا البحثية هذه جاءت (٤٩٨)، وهو فرق لا نعتقد أن له تأثيراً إحصائياً يذكر.

كما يجدر الإشارة إلى أن التحليل الإحصائي الذي أورده عيد يمكن سحبه تقريباً على شكل رقم (١) في ورقتنا البحثية هذه، لذلك فلن نكرر ما أورده عيد، ولكننا سوف تقدم قراءة إحصائية لهذه الأشكال من زوايا أخرى لم يتطرق إليها عيد كما يلي :

الشكل رقم (١)

إجمالي هجمات الإرهاب الدولي في الفترة من ١٩٨١ـ٢٠٠٠م

ـ السلسلة الزمنية لإجمالي حوادث الإرهابيين (Terrorist attacks)، والمشار إليها في الشكل رقم (١) في حاجة إلى العثور على النموذج الرياضي الاحتمالي الذي يعبر عنها. هذا النموذج الرياضي في حالة العثور عليه فإنه سوف يمكننا من الإجابة على تساؤلين رئيسيين، أولهما: هل حوادث الإرهاب عشوائية التصرف أو السلوك (Random) أم أنها غير ذلك وبالتالي يمكن بناء نموذج رياضي احتمالي لها. والثاني إذا ما عثرنا على هذا النموذج الرياضي فإن ذلك سوف يمكننا من استشفاف (Forcast) مستقبل السلسلة المستقبلي خاصة القريب منه. كمثال لكيفية بناء وشرح مثل هذه السلاسل الزمنية يمكن الرجوع للصياد (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

إن العثور على النموذج الرياضي الاحتمالي للسلاسل الزمنية لأنواع الإرهاب يعد مدخلاً موضوعياً أمبيريقياً أساسياً لتقييم فعالية السياسات والاستراتيجيات التي تمارس للحد من هذه الأنواع.

خبرتنا السابقة في مجال تحليل السلاسل الزمنية عموماً وفي المجال الأمني خصوصاً تنبأ أن سلوك السلسلة الممثلة بالشكل رقم (١) ليست عشوائية التصرف.

الشكل رقم (٢) والخاص بتوزيع الحوادث الإرهابية حسب الإقليم (Region) يوضح أن منطقة شمال أمريكيا (North American) أقل بل نادراً ما حدثت فيها حوادث إرهابية خلال الفترة من عام ١٩٩٥ حتى عام ٢٠٠٠م. وإذا ما نظرنا لكل منطقة على حدة فإنه يمكن صياغة الفروض ـ والتي لا تزال تبحث عن اختبار ـ الآتية:

ـ الدالة الرياضية الاحتمالية للسلسلة الزمنية لحوادث الإرهاب في أفريقيا (Africa) دالة تصاعدية (تزايدية) الاتجاه، نفس الفرض يمكن صياغته لآسيا(Asia).

ـ الدالة الرياضية الاحتمالية للسلسلة الزمنية لحوادث الإرهاب في أوراسيا (Eurasia) تبدو موسمية الطابع أفقية الاتجاه.

ـ الدالة الرياضية الاحتمالية للسلسلة الزمنية لحوادث الإرهاب في أمريكا اللاتينية Latin America تبدو موسمية الطابع تصاعدية الاتجاه.

ـ الدالة الرياضية الاحتمالية للسلسلة الزمنية لحدواث الإرهاب في الشرق الأوسط Middle East تنازلية (تناقصية) الاتجاه. نفس الفرض يمكن صياغته لتصرف سلوك السلسلة الزمنية لحوادث الإرهاب في غرب أوربا Weser Europe.

ـ أما بالنسبة لشمال أمريكا North America فإن تاريخ سلسلة الإرهاب الرقمي ينبأ عن إحتمال ندرة حدوثها وعدم كفاية البيانات لحسابها ومن ثم التعرف على تصرف السلسلة الزمنية لهذه المنطقة من العالم.

الشكل رقم (٢)

إجمالي هجمات الإرهاب الدولي حسب المنطقة في التفرة من ١٩٩٥ـ٢٠٠٠م

المناقشة السريعة السابقة للشكل رقم (٢) قد تعني ضمن ما تعني أن العوامل والمتغيرات الحاكمة لتصرف السلاسل الزمنية للإرهاب في المناطق السبعة المشار إليها بالشكل قد تختلف جوهرياً من منطقة إلى أخرى، ترى ما هي هذه العوامل والمتغيرات ؟، نعتقد أنه تساؤل بحثي يستحق البحث عن إجابه له، وأن هذا قد يعني أن استراتيجيات وسياسات مقاومة ومكافحة الإرهاب قد تختلف من منطقة إلى أخرى في العالم.

الشكل رقم (٢) أيضاً ينبىء إذا كان من تعاون دولي يمكن أن يتم في مجال ظاهرة مكافحة ومقاومة الإرهاب، فإن مناطق أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ربما تتشابه ظروفها من حيث متغيرات وعوامل الإرهاب وللتشابه المتوقع في تصرف سلاسلها الزمنية، وبذا يمكن أن تتعاون فيما بينها، وأن منطقة الشرق الأوسط وغرب أوربا يمكن أن تتعاونا فيما بينها لتشابه سلسلتيهما الزمنية تقريباً من حيث التصرف. أما منطقتا أوراسيا وشمال أمريكا فإنه من المتوقع أن يكون لكل منهما طابعه الخاص والذي ربما لم يتشكل بعد.

المناقشة السابقة قد تعني أن عالمية الإرهاب حسب المناطق بدت في الأفق بينما عولمية هذه الظاهرة لم تبد بعد. لذا فإن فكرة قيام مؤتمر عولمي (لكل دول العالم) حول الإرهاب من المتوقع أن يجمع أطرافاً متعارضة ومتباينة من حيث العوامل والمتغيرات ذات العلاقة بالإرهاب لكل دولة أو إقليم، ناهيك عن تباياتها العقائدية والأيدولوجية مما قد ينذر بالفشل.

أما فكرة عقد مؤتمرات إقليمية تجمع عدة دول متشابهه الظروف قد يكون أمراً مفيداً توطئة للمؤتمر العولمي والمسمى بالمؤتمر الدولي.

شكل رقم (٣) ربما يزيد التحليل تعقيداً حيث يمثل هذا الشكل التوزيع

الإحصائي لعدد الإصابات (Casualties) لمناطق شكل رقم (٢) السابقة ولنفس الفترة الزمنية ١٩٩٥ـ٢٠٠٠م.

التعقيد هنا ينبع من العثور على إجابة للتساؤل الآتي

هل سلوك السلاسل الزمنية لعدد الإصابات للمناطق السبعة يتطابق أو حتى يتشابه مع نظيره لعدد حوادث الإرهاب كما تبدو في شكل رقم (٢)؟ الإجابة ليست ببساطة الإحصاء التقليدي الكلاسيكي المعروف، بل لعلنا نقول ان معاملات الارتباط الكلاسيكية المعروفة سوف تفشل في تقديم مثل هذه الإجابة. الإشكالية الرياضية هنا هي حساب العلاقة بين سلسلتين زمنيتين قد لا يكون لهما نفس التصرف. كما أن التنبوء بسلوك السلسلة الزمنية لعدد الإصابات من سلوك السلسلة الزمنية لعدد حوادث الإرهاب أمر غاية في التعقيد رياضياً ولكنه ممكن الحساب.

شكل رقم (٤) والذي يركز على حوادث الإرهاب لعام ٢٠٠٠م، مقرونة بعدد القتلى لكل منطقة من المناطق السبعة التي اهتم بها التقرير الأمريكي. يلاحظ أنه في أفريقيا عدد القتلى لكل حادث يساوي تقريباً (١,٣٣) (٧٣/ ٥٥=١,٣٣)، بينما بلغت هذه النسبة في آسيا (٢,٨٧) وبلغت في أوراسيا (٠,٣٨) وبلغت في أمريكا اللاتينية ١,١٩، وأن هذه النسبة في أمريكا الشمالية لعام ٢٠٠٠م غير ممكنة الحساب (صفر/ صفر)، أخيراً في غرب أوربا بلغت هذه النسبة (٠,٠٣٣).

الشكل رقم (٣)

إجمالي الإصابات في هجمات الإرهاب الدولي حسب المنطقة للفترة ١٩٩٥ـ٢٠٠٠م

الشكل رقم (٤)

إجمالي هجمات الإرهاب الدولي لعام ٢٠٠٠م مقرونة بعدد القتلى

من مقارنة النسب السابقة يمكن استنتاج ـ وهو استنتاج في حاجة إلى مزيد من الدراسة لتأكيده أو نفيه، أي أنها استنتاجات لا تصل إلى مرحلة النتائج وإنها تساؤلات أو فروض تبحث عن إجابة ـ يمكن استنتاج أنه :

ـ الإرهاب في غرب أوروبا أكثر رحمة (أقل قسوة) من أي منطقة أخرى من العالم حيث بلغت نسبة عدد القتلى إلى عدد الحوادث الإرهابية (٠,٠٣٣).

ـ يلي غرب أوروبا من حيث الرحمة إرهاب أوراسيا حيث بلغت هذه النسبة (٠,٣٨). بكلمات أخرى قسوة الإرهاب ـ إذا جاز التعبير ـ في أوراسيا تزيد عن (١١) ضعفاً (٠,٣٨ ـ ٠,٠٣٣) لغرب أوروبا.

ـ ثم أمريكيا اللاتينية حيث كانت النسبة (١,١٩). أي أن قسوة الإرهاب في أمريكا اللاتينية تساوي (٣٦) ضعفاً تقريباً لقسوتها في غرب أوروبا.

ـ ثم منطقة أفريقيا، حيث كانت النسبة (١,٣٣)، أي أن قسوة الإرهاب في أفريقيا تساوي أكثر من (٤٠) أربعين ضعف قسوته في غرب أوربا.

ـ ثم في آسيا حيث بلغت نسبة عدد القتلى إلى عدد الحوادث أقصاها (٢,٨٧)، وأن قسوة الإرهاب في آسيا تساوي (٢,٨٧ ـ ٠,٠٣٣)، أي حوالي (٨٧) ضعف قسوته في غرب أوربا.

ترى هل هذا التباين فيما اسميناه رحمة الإرهاب أو عكسه قسوة الإرهاب مجرد صدفة أتت بها بيانات عام ٢٠٠٠م الموضحة بشكل رقم (٤) أم أن لها دلالاتها الأمنية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والنفسية . . . إلخ . ؟ . تساؤلات تبحث عن إجابة لعل البحث العلمي يوليها الاهتمام.

شكل رقم (٥) يوضح التوزيع الإحصائي للقطاعات (Facilities)

التي ضربت (Struck) بالإرهاب للفترة من عام ١٩٩٥م حتى عام ٢٠٠٠م، ومنه يمكن استنتاج الآتي :

- قطاع الأعمال (Business) هو أكثر القطاعات تضرراً بالإرهاب وأن سلوك السلسلة الزمنية لحوادث الإرهاب لهذا القطاع إذا ما بنيت من المتوقع أن تكون تصاعدية الاتجاه وقد تأخذ شكلاً موسمياً .
- القطاع الدبلوماسي جاء خلف قطاع الأعمال وبفارق شاسع من حيث التضرر الأقل والسلوك العام لسلسلته الزمنية من المتوقع أن يكون تصاعدي الاتجاه .
- القطاع الحكومي جاء ثالثاً وسلوك سلسلته الزمنية يصعب التكهن به في حدود بيانات شكل رقم (٥) .
- القطاع العسكري جاء رابعاً من حيث تضرره بالإرهاب وشكل سلسلته الزمنية العام ينبأ بشكل تصاعدي الإتجاه .
- القطاعات الأخرى (Other) المتنوعة قد تبدو ثانياً من حيث الشكل التضرري بالإرهاب وحيث أنها متنوعة ولم يفسرها التقرير ولا الشكل رقم (٥) فإن قيمتها التحليلية الإحصائية يصعب الامساك بها . كما أن فئة أخرى في أي تصنيف إحصائي يجب أن تكون صاحبة أقل نسبة من إجمالي التوزيع ، لذلك فيمكن الاعتقاد أن شكل رقم (٥) يمكن أن يشمل على فئات أخرى ذات أهمية دمجت تحت أخرى .

شكل رقم (٥)

إجمالي القطاعات التي ضربت بالإرهاب الدولي في الفترة من ١٩٩٥ــ٢٠٠٠م

التساؤل الماثل من شكل رقم (٥)، لماذا القطاع الاقتصادي هو القطاع الأكثر تضرراً وبوضوح من بقية القطاعات الحياتية الأخرى؟. شكل رقم (٥) ينبىء أنها ليست صدفة على الأقل. هل هذا يعني أن الإرهاب العالمي في مجمله إرهاب اقتصادي أكثر من كونه دبلوماسياً أو حكومياً أو عسكرياً؟، أم أن القطاعات الدبلوماسية والقطاعات الحكومية والقطاعات العسكرية تمكنت من حماية ووقاية نفسها أو توفرت لها الحماية أكثر من تلك التي توفرت للقطاعات الاقتصادية؟

هل هذا يعني أن ضرب القطاع الاقتصادي بواسطة الإرهاب هو المفتاح لضرب القطاعات الأخرى؟ أم أن هذا يعني أن الحرب الدائرة عالمياً الآن هي حرب اقتصادية بين أطراف مجهولة، والإرهاب هنا مجرد وسيلة؟!!! هل التحول الاقتصادي من الشكل التقليدي المحسوس إلى عالم الواقع الافتراضي (Virtual Reality) عن طريق التجارة الإلكترونية وشبكات المعلومات وعلى رأسها شبكة الإنترنت سوف يحد من تضرر عالم الاقتصاد والأعمال التقليدي الملموس والمحسوس؟. بكلمات أخرى هل الإصابات في الأرواح والممتلكات سوف تقل حدتها وأعدادها إذا ما تحول الاقتصاد والتجارة إلى عالم الواقع الافتراضي؟. وهل ساعاتها سوف يعيش العالم ما يمكن تسميته إرهاب الواقع الافتراضي والذي بدت بوادره فيما يسمى بحرب الشبكة (Netwar)، أو الإرهاب التكنولوجي والذي أشار إليه كل من (Bowers & Kimberly,1998)، و(Zanini,1999)؟.

٤ ـ العولمة والإسلام والإرهاب والانتماء والولاء والاغتراب

أ ـ مفهوم العولمة

تعددت مفاهيم وتعريفات العولمة بحيث تشكلت غابة من التعريفات فيها الكثير من التباين وربما التضارب والتصارع وليس من المرغوب في ورقتنا البحثية هذه أن ندرس الغاية أملاً في العثور على تعريف مرضي للجميع، فليس هذا هدفاً لنا وهو أصلاً غير ممكن، ولكننا ومن خلال هذه الغابة من التعريفات نميل إلى مفهوم العولمة (Globalization) المتفائل والذي قدمته العشماوي ١٩٩٨م، والتي تعمل استاذة في قسم الدراسات العربية والإسلامية بكلية الآداب بجامعة جنيف سويسرا والذي نشر بصفحة قضايا وآراء بجريدة الإهرام القاهرية ليوم الجمعة الرابع من سبتمبر لعام ١٩٩٨م حيث يمكن استنتاج أن :

ـ قادة العولمة المعاصرة هم دول مجموعة الـ ٨ (Group of 8)، والتي تضم الولايات المتحدة الأمريكية، كندا، اليابان، انجلترا، فرنسا، ألمانيا، إيطاليا، وروسيا.

هذه المجموعة القائدة تضم أيضاً مجموعة الاتحاد الأوربي الـ١٥ (Group of 15) إلى جانب بعض دول أوروبا الشرقية.

ـ معظم دول العالم حالياً والتي اشتركت في وضع إطار مفاوضات جوله أورجواي والتي تمخض عنها انشاء المنظمة العالمية للتجارة في جنيف عام ١٩٩٥م هم أعضاء ملتزمون بما وقعوا عليه في هذه المنظمة.

ـ كل هذه الكيانات السابقة (تقريباً كل العالم) اتفقت على الآتي :

ـ جعل العالم بلا حدود وبلا حواجز بحيث يصبح قرية صغيرة يعم فيها السلام والرخاء.

ـ شبكة اتصال موحدة وهي الانترنت .
ـ قانون إنساني موحد يطبق على العالم كله وهو الإعلان العالمي لحقوق الإنسان!!!
ـ نظام اقتصادي واحد وشامل ومتداخل ويخضع لانظمة موحدة تتضامن لتسيير عجلة الإنتاج، وتعم التكنولوجيا الموحدة كأساس للصناعات .
ـ فتح الأسواق بلا جمارك أو رسوم جمركية .
ـ إلغاء الاحتكار بجميع اشكاله وعدم تقييد تداول المنتجات الأجنبية بل تسويقها بنفس أساليب تسويق المنتجات الوطنية وفتح الأسواق الوطنية أمام هذه المنتجات الأجنبية بحيث تكون أسعارها متقاربة بين أسعار المنتجات الوطنية وعدم فرض قيود عليها .
ـ أن يكون للمستهلك حرية شراء المنتجات الوطنية أو المنتجات المستوردة وعدم إجباره على شراء منتجات بلده .

المتعمق في فهم النقاط السبع السابقة ربما يقتنع أن العولمة ليست هدفاً في حد ذاتها ولكنها عملية ومرحلة من مراحل تطور البشرية، كما أن هذه العملية في بداية عملها وأن نتائجها لم تكتمل بعد .

ب ـ الإسلام والعولمة

الخطاب القرآني وهو جوهر الإسلام موجه للناس جميعاً وليس لقبيلة أو قوم أو حتى للمسلمين فقط كما يتعقد الغربيون للأسف، والدليل على أن الإسلام لجميع الناس هو أن كثيراً من آيات القرآن تبدأ بقوله تعالى ﴿يا أيها الناس﴾، وكلمة الناس في اللغة العربية تعني الجنس البشري كله في مقابل الجنس أو الحيوان، وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم أكثر من (٢٠٠) مرة، ولنتأمل قول الله تعالى في الآيات الكريمات الآتية :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ... ﴿١٣﴾ ﴾ (سورة الحجرات، الآية١٣).

﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾(سورة الزلزلة، الآيات ٦ـ٨).

كما أن نبي الله وخاتم المرسلين سيدنا محمد (ﷺ) لم يلحق اسمه بمسمى (قوم) في القرآن الكريم حيث لم يرد في الخطاب تعبير (قوم محمد) أو (قوم مكة) حيث جاء الخطاب القرآني لسيد المرسلين بصورة مختلفة تماماً حيث قال سبحانه وتعالى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ (سورة الحج، الآية ٤٩).

كما أن الحديث الشريف جاء ليؤكد أنه لا فضل لقوم على قوم أو للون على لون ومعيار التفضيل وضحه الحديث الشريف القائل «كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي إن أكرمكم عند الله أتقاكم» (حديث صحيح).

لذا فإنه يمكن التأكيد أنه لا حاجة لأن يبحث عالم العولمة عن قانون إنساني موحد يطبق على العالم كله في صورة إعلان عالمي لحقوق الإنسان!! فالرسالة الخاتمية موجودة ومن عند الله وبقي أن يقدمها المؤمنون بها إلى عالم العولمة بطريقة وبلغة وبمنهج يفهمها هذا العالم وعليه فإن الرسالة المحمدية هي رسالة العولمة، وقد أقرها إسلامنا الحنيف (١٤) قرناً من الزمان، العشماوي (١٩٩٨).

جـ ـ الفرد بين المحلية والعالمية والعولمة والكوكبية والولاء والانتماء:

يوضح شكل رقم (٦) بجزئيه (أ) و (ب) موقع الفرد بما يحطيه قبل العولمة شكل (٦أ) وبعد العولمة شكل (٦ب). إنسان أو فرد ما قبل العولمة لا يستطيع الانتقال من نطاق إلى آخر أوسع غالباً إلا بإذن أو تصريح . . . إلخ. سواء أن كان هذا الانتقال بالجسد أو بالصوت أو بالمشاركة أو حتى بالعمل، أنه يعيش واقعاً مادياً حقيقياً ملموساً ومحسوساً (Real).

أما بعد العولمة وحسب شكل رقم (٦ ب) فإن هذا الإنسان الفرد سوف ينتقل بجسده، أي حقيقة (Real)، أو من خلال الواقع الافتراضي (Virtual Reality) وتكنولوجياته وفنياته الكثيرة والمبهرة، فهناك الآن طب الواقع الافتراضي، وتعليم الواقع الافتراضي، ومجتمعات الواقع الافتراضي، وشركات الواقع الافتراضي ولا نعجب فهناك الآن تكنولوجيا القرين الواقعي الافتراضي . . . إلخ. لاحظ وطبقاً للشكل رقم (٦) أننا فرقنا بين العالمية والعولمية والكوكبية، وحسب شكل رقم (٦ ب) فإن العولمة تجب العالمية، والكوكبية تجب الاثنتين.

الشكل رقم (٦)

الفرد بين المحلية والعالمية والعولمة والكوكبة

تربية وتنشئة وبناء إنسان ما قبل العولمة من المتوقع أن تختلف عن نظيرتها إنسان ما بعد العولمة. إنسان أو فرد ما قبل العولمة يمكن التحكم في مصادر ووسائل تربيته وتنشئته ومن ثم ولاؤه وإنتماؤه. وبما أن الانتماء معروف سيكولوجياً واجتماعياً أنه علاقات ومنافع مشروعة متبادلة بين الفرد وما ينتمي إليه وأن الولاء هو إنتماء الفرد للوطن أو لما ينتمي إليه دون إنتظار مقابل، وبهذا المعنى فإن الولاء يجب الإنتماء والعكس غير صحيح ، لذا فإنه في عالم ما قبل العولمة يكفي أن تتوافر صفة الإنتماء بين الفرد وما ينتمي إليه والمجتمع يملك القدرة على أن يحد من إنتماء هذا الفرد للآخر. بكلمات أخرى الإنتماء الكلي في عصر ما قبل العولمة محدد المكونات ويمكن تمثيله رياضياً كالآتي :

(الانتماء = إنتماء للأسرة⊕ إنتماء للعشيرة ⊕ . . .⊕إنتماء للأمارة أو المحافظة⊕ . . . .⊕إنتماء للدولة (الوطن)⊕ . . . ⊕إنتماء للعالم).

مع ملاحظة أن العلامة⊕تعني إضافة تفاعلية وليس مجرد حاصل جمع، كما أنه من المتوقع أنه كلما اتجهنا نحو العالمية فإن الإنتماء الخاص بالمكون المعين يتناقص، أي أن الإنتماء للأسرة من المتوقع أن يكون أعلا من نظيرة للمحافظة أعلا من نظيرة للدولة ، وهكذا حتى يصل أقل مداة فيما يمكن تسميته بإنتماء الفرد للعالم.

أما الإنتماء في عصر العولمة فنعتقد أنه قضية القضايا وفي حاجة شديدة للبحث والدراسة، ويصبح التساؤل الماثل هنا، هل تراث الإنتماء السيكولوجي والاجتماعي والتربوي والذي حصلت عليه البشرية في عصر ما قبل العولمة صالح لعصر العولمة؟. خصوصاً إذا ما علمنا أنه في عصر العولمة فإن انتماء الفرد المهني يمكن أن يكون لمؤسسة أو شركة عابرة للقارات

وطنها اليابس بعيد جداً عن وطن الفرد، وربما في حالة عداء أو خلاف مع وطن الفرد، وأن إنتمائه الثقافي ربما يعود لثقافة غير تلك التي ينتمي إليها مهنياً . . . وهكذا، والمحصلة العامة لإنتماء الفرد أو قل الإنتماء العام له في عصر العولمة من المتوقع تحدده قوة الإنتماء المعين أو الإنتماءات المعينة في معادلة الإنتماء العامة.

وإلى أن نعثر على إجابة للتساؤلات السابقة والذي أساسه ما هو مفهوم الإنتماء في عصر العولمة ـ وإلى أن نعثر على ذلك ـ فليس أمام الأوطان إلا أن تركز على تنشئة أبنائها على الولاء حيث يمكن أن يقيم ويعمل ويتفاعل الفرد على أرض وطن آخر ومنتمياً إليه إلا أن ولائه لا يزال للوطن الأم أو الوطن الأصل، يصبح التساؤل المماثل الآن بل لعنا نقول أهم تساؤل تواجهه أوطاننا العربية والإسلامية وفي ظل فجوة تكنولوجية لصالح الآخر، هوكيف نربي النشء على الولاء وليس على الإنتماء فقط؟.

هـ ـ الإرهاب والإنتماء والولاء

الفرد الإرهابي من المتوقع أن إنتماءه للجماعة الإرهاب التي ينتسب إليها وربما ولاؤه أيضاً، أما الفرد العادي الطبيعي فهو غالباً غير ذلك، لذلك نعتقد أن حوائط الصد الدفاعية الهامة ضد الإرهاب هي ضمان ولاء وإنتماء الأفراد إلى مجتمعاتهم السوية، كيف؟، تساؤل يبحث عن إجابة علمية، بل لعلنا نطور هذا التساؤل بصياغة أخرى كأن نقول، ما الخصائص الشخصية والاجتماعية والاقتصادية . . . إلخ. التي تميز الفرد المنتمي (أو صاحب الولاء) عن الفرد الإرهابي؟ ولعلنا نطمع أكثر في التساؤل فنقول هل خصائص الفرد السابقة لها قدرة تنبؤية في أن يصبح الفرد إرهابياً من عدمه مستقبلاً؟ وبالتالي يمكن التخطيط لبرامج وقاية وعلاج قبل التورط في الإرهاب؟.

و ـ الإرهاب وإغتراب الفرد في عصر العولمة

من المتوقع أن يزداد الاغتراب (Alienation)عند الفرد في مرحلة الانتقال من عصر ما قبل العولمة إلى عصر العولمة والذي هو من وجهة نظرنا لا يزال في ارهاصات البداية، فالمجتمعات الآن تنتقل من تقليدها التي عاشتها طويلاً إلى حال جديد عليها، لذلك فهي تستشعر ما يسمى بالاغتراب الثقافي (Cultural Estraingement) حيث تخشى الغزو الثقافي وتشعر احيانا بالضياع وقد تجد المجتمعات نفسها أما في حالة إغتراب أو أنها تنبهر بوسائل الغزو الثقافي فتتمثله (Assinilation) ومن ثم تتقبله. فإذا ما تمثل مجتمع وبالتالي أفراده ثقافة الآخر فهو يعيش إغتراب التمثل، وإذا قاومه ورفضه فهو يعيش مشكلات الصراع الثقافي (Cultural Conflict)، (بدر، ١٩٩٦).

كذلك يذكرنا بدر أيضاً أن للاغتراب صوراً أخرى تتمثل في غياب المعايير (Normlessness) أو ضعفها واهتزازها في المجتمع وبالتالي عند أفراده، كما أن الاغتراب يمكن أن يظهر في صورة انعدام السلطة (Powerlessness)، أو نقص وضعف القوة الاجتماعية (Social Power and / or Authority) ـ بمعنى إحساس الشخص بأنه لا حول له ولا قوة. كما أن الاغتراب من جانب رابع وهام على حد قول بدر، يعني العزلة (Isolation) في شكليهما الاجتماعي أو النفسي، ففي الأولى ينزوي الفرد عن المجتمع وفي الثانية فينعزل الفرد عن نفسه بمعنى شعوره بالضياع.

لعل القارئ يدرك معنا العلاقة بين الإنتماء والولاء من جانب والاغتراب من جانب آخر حيث يمكن استنتاج الفرد المغترب وبالتالي المجتمع المغترب أما فرد أو مجتمع هش أو فرد وبالتالي مجتمع تابع. مثل

هؤلاء الأفراد التابعين وهذه المجتمعات التابعة يسهل ايقاعها في براثن الإرهاب خاصة في عصر العولمة.

ويحذرنا بدر (مرجع سابق) من أن رجل الشرطة العربي من المتوقع أنه يعاني إغتراباً وأن كثيراً من أفراد المجتمع العربي يعانون اغتراباً وحينما يتفاعل المغتربان فالمجتمع هو الخاسر ويفقد رجل الشرطة رضاه وطمأنينته وود المواطن نحوه فتهتز الكفاءة الأمنية ويكتفي الفرد المغترب بالتفرج على مظاهر الانحراف أو ربما بممارسته امعانا في الاغتراب حيث الجريمة والانحراف والعصيان، فالعصيان بشتى صوره ومنها الاختلاس والرشوة وجميع صور الفساد في علاقة وطيدة بالاغتراب، شتا (١٩٩٧).

وإذا ما تواجد الفساد بصوره العديدة، وإذا ما اغترب الفرد ورجل الأمن فهذا من المتوقع أن يشكل بيئة مناسبة لدوامة الإرهاب، والسؤال البحثي الماثل الآن ما طبيعة العلاقة بين الإرهاب والاغتراب بصوره المتعددة عند الفرد ورجل الشرطة؟ سؤال يبحث عن إجابة لعل البحث العلمي يوليه الإهتمام.

ولعل ما يمكن أن يعمق مشكلة الاغتراب عند المواطن ورجل الشرطة هو افتقاد أحدهما أوكليهما إلى مهارة من أهم مهارات العصر الا وهي مهارة الاتصال والتواصل (Communication Skills and Interchang) حيث توفر مجموعة من القدرات والملكات لتحقيق غاية التكليف عن الفرد ورجل الشرطة وحيث توظيف هذه القدرات والملكات لصالح الذات ولصالح الآخر (الصياد والمالك، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٠م). كما أن الصياد والمالك ومن خلال مناقشتهما لمكونات هذه المهارة طرحا العديد من الأسئلة البحثية التي تبحث عن إجابة والتي إذا ما أولاها البحث العلمي الانتباه

فإنها من المتوقع أن تزيد من كفاءة رجل الأمن وزيادة ود وتعاطف وتعاون المواطن معه.

بكلمات أخرى إذا ما اتقن رجل الأمن والمواطن مهارات الاتصال والتواصل فإن الكفاءة الأمنية للوطن سوف تزداد حيث من المتوقع أن من يجيد مثل هذه المهارات لن يعاني من مظاهر الاغتراب وبالتالي يزداد إنتماؤه وولاؤه ومن ثم يمكن تكوين حائط صد حماية ووقاية ضد الإرهاب.

٥ ـ الإرهاب ومتغيرات وعوامل أخرى

أ ـ الإرهاب واشكالية الديمقراطية والحرية والرأي العام

في جريدة الإهرام القاهرية بتاريخ العاشر من شوال لعام ١٤٢٢هـ الموافق للخامس والعشرين من شهر ديسمبر لعام ٢٠٠١م الصفحة الرابعة الطبعة الأولى وتحت عنوان «تقرير أمريكي يتهم الدول الإسلامية بالابتعاد عن الديمقراطية ـ منظمة فريدوم هاوس(*) تضع أربع دول عربية ضمن قائمة الدول الأقل حرية».

في هذا التقرير أُتهمت معظم الدول الإسلامية بالابتعاد عن الديمقراطية مشيراً إلى أن النسبة الأقل من الدول الإسلامية في العالم هي التي تحظى بحياة ديمقراطية سليمة، مقارنة بالدول غير الإسلامية، وجاء في هذا التقرير السنوي أيضاً أن (٢٣٪) من الدول الإسلامية فقط تحظى بحكومة منتخبة ديمقراطيا، مقابل (٧٥٪) في الدول غير الإسلامية، وقال

(*) هذه الترجمة الإنجليزية من عند الباحث الحالي (Freedom House Organization)

التقرير أيضاً والذي يصنف جميع دول العالم (١٩٢ دولة) ما بين دول حرة، ودول حرة جزئياً، ودول غير حرة، إن المجتمع الدولي واجه في عام٢٠٠١م خطراً إرهابياً كبيراً ناجماً عن حركة متعصبة تستمد جذورها من تفسير متطرف للإسلام، وجاءت مالي الدولة الوحيدة ذات الغالبية المسلمة والتي صنفت دولة حرة و(١٨) دولة أخرى حرة جزئيا ،ً والبقية من دول العالم الإسلامي تفتقد تماماً للحرية !!! .

ولعل أخطرما في هذا التقرير ما ذكره أدريان كاراتنيشي رئيس المنظمة حين قال وعلى حد قول جريدة الإهرام «أن الهوة في مجال الديمقراطية والحرية ليست قائمة فقط بين العالم الإسلامي والغرب، بل إنها ملحوظة أيضاً بين المجتمع الإسلامي وبقية العالم» !!! .

بعد هذه المقدمة لعلنا نتساءل، ما هو مفهوم وتعريف الديمقراطية والحرية الذي يطرحه الغرب ويريد من الجميع اتباعه؟، وهل هناك مفهوم واحد للديمقراطية والحرية بغض النظر عن خصوصيات المجتمعات العقائدية والثقافية والاجتماعية والتطورية؟، وهل الحرية والديمقراطية هدفان في حد ذاتهما أم أنهما وسيلتان لحل مشكلات وتحقيق طموحات الشعوب؟، وإذا كان هناك من وسائل مشروعة أخرى لحل المشكلات وتحقيق الطموحات للشعوب وتتناسب مع مراحل تطورها فهل تعتبر هذه الوسائل متخلفة؟!، ثم أصلاً ما هو مفهوم التخلف والتقدم؟ وما هي معايير قياسه؟ .

ولنتأمل سوياً المفهوم الإجرائي للديمقراطية الغربية والمستمدة من ديمقراطية أفلاطون لتشمل الفالح والطالح . إن نظرية (Theory) الديمقراطية الغربية تعاني عدة قصورات يمكن وصفها بالقصورات المنطقية وربما وصفها بمخالفتها لقوانين الرياضيات والاحتمالات، وتتمثل هذه القصورات في :

ـ خطأ التمثيل

حيث يتم انتخاب عدد (n) من المجمع الانتخابي (المرشحون الفائزون في الانتخاب) بواسطة (N) من أفراد المجمع الانتخابي . (n) عادة تعد ببضع عشرات أو مئات أما (N) فتعد بالملايين وربما عشرات أو مئات الملايين .

عدد الممثلين (n) محدد سلفاً فإذا كانت (n) مثلاً تساوي (٥٠٠) لتمثل حجم مجتمع (ن=٥٠٠٠٠٠٠٠٠)(خمسون مليون) فإنه وحسب علم العينات وبافتراض أن المجتمع متجانس ولا يعاني طبقية اجتماعية، وجنسية (ذكور ـ اناث)، واقتصادية . . . إلخ . فإنه لا ضمان رياضياً حتى الآن وفي حدود علم الباحث أن (n=٥٠٠) تعد حجماً كافياً لتمثيل (N=٥٠٠٠٠٠٠٠) وهنا يقع خطأ التمثيل رياضياً والحل رياضياً هو زيادة (n) إلى مالا نهاية أي حتى تصل إلى (٥٠٠٠٠٠٠)، وهذا غير ممكن عملياً وتطبيقاً فكيف يتحدث (٥٠٠٠٠٠٠٠) لبعضهم البعض وفي مكان واحد!!! .

ـ إحتمال خطأ التصويت لاتخاذ القرار :

لنفرض جدلاً أن (n = ٥٠٠) في المثال السابق كافية وأنه لا خطأ تمثيل، وأنه تم اختيار الـ(٥٠٠) ممثل بكامل النزاهة والموضوعية!! هؤلاء الـ(٥٠٠) ممثل من المتوقع أن يكون منهم عالم الذرة، وعالم الذرة (نسبة إلى نبات الذرة) والطبي وما سح الأحذية(*)مع احترامنا الشديد لكل المهن

(*) اذاعت قناة الـ (CNN) خبرا مفصلاً من أن ماسح أحذية نجح في دخول البرلمان منتخبا في الارجنتين وقد شاهد الباحث الحالي هذا التقرير .

فالعمل عبادة هكذا يعلمنا ديننا الإسلامي الحنيف. ولنفرض أن الموضوع المطروح على مجلس الممثلين (البرلمان) هو ما إذا كانت الدولة تقوم بصنع القنبلة الذرية أم لا.

ولنفرض جدلاً أن جميع علماء الذرة والبالغ عددهم (١٠٠) «مائة» انتخبوا في هذا المجلس وبعد نقاش ونقاش طرح الموضوع للتصويت فوافق عليه المائة عالم ذرة ورفضه (١٠١) عضواً آخرين وامتنع الباقون عن التصويت فإن النظرية الغريبة أو ما يمكن تسميته بنظرية تساوي الأصبع والأيادي سوف يكون لصالح الـ(١٠١) عضواً حتى ولو كان بينهم ماسح الأحذية مع أحترامنا الشديد مرة أخرى. إن الديمقراطية الغربية يمكن تجمع على باطل والأمثلة في ذلك كثيرة.

الخطآن السابقان وقعت فيهما النظرية الغربية للديمقراطية لا محالة وبمنطق رياضي صرف.

ومن المتوقع أن يحدث تضخم لهذين الخطأين إذا ما كانت هناك أخطاء في التطبيق أثناء عملية الاقتراع وهي متوقعة وكثيرة ولعل انتخابات الرئاسة الأمريكية الأخيرة خير مثال.

ما الحل؟ علينا نحن المسلمين ومن فحوى قرآننا وسنتنا المحمدية المشرفة أن نقدم الشورى الإسلامية بلغة ومنهج يفهمه الآخر بغض النظر عن عقيدته أو أيدلوجيته؟ كيف؟ سؤال هام يبحث عن إجابة لعل البحث العلمي خاصة الفقهي والتشريعي منه يوليه الاهتمام؟ وعلى سبيل المثال فإن الباحث الحالي يمكن أن يطرح تصوراً يتمثل في الآتي :

ـ فليكن في بلادنا الإسلامية نوعان من الديمقراطية أو نوعان من البرلمانات، النوع الأول على الطريقة الغربية كما هو حاصل في بعض البلاد العربية والإسلامية حالياً مع السيطرة على أخطاء التطبيق حتى لا تتفاقم.

وليكن النوع الثاني وأسميه (ديمقراطية البحث العلمي) حيث المجتمع الانتخابي لهذا البرلمان العلمي هم علماء وخبراء الوطن (يتفق على تعريف العالم والخبير وليكونوا مثلاً هم كل أولئك الذين حصلوا على شهادة دراسية تفوق مثلاً الشهادة الجامعية الأولى، هؤلاء يمثلون المجتمع الانتخابي ويفتح الباب للترشيح لعضوية البرلمان العلمي الموازي للبرلمان الشعبي على الطريقة الأفلاطونية الغربية. ينتخب المجمع العلمي من يمثلونه في البرلمان العلمي الموازي على أن توزع حصص التمثيل في البرلمان العلمي الموازي على حسب حجم التخصصات في المجمع الإنتخابي، يمكن للحاكم سواء أن كان ملكا أو رئيسا أو أميراً أن يعين دون ما انتخاب نسبة (يتفق عليها) من هذا البرلمان العلمي الموازي لاحداث التوازن والتكامل. هذه النسبة المعينة يتم اختيارها وتعيينها بعد انتهاء عملية الانتخاب والتعرف على الخريطة العلمية للناجحين. وبذا يتكون البرلمان العلمي الموازي للبرلمان الشعبي.

المشكلات والطموحات تأتي وتعرض أولاً على البرلمان الشعبي على الطريقة الغربية لصناعة قرارات متدرجة حسب وزنها بالأصوات التي حصلت عليها. هذه القرارات تعرض على البرلمان العلمي الموازي، ما يقره البرلمان العلمي الموازي من قرارات هو الملزم للحكومة للتنفيذ أو هو الذي يقدم للحكومة للعمل بما فيه أو الرد عليه في حالة وجود صعوبات للتنفيذ.

هل نسمي البرلمان العلمي الموازي المقترح هذا هو مجلس الشورى كما يرتضيها ديننا الإسلامي الحنيف؟ سؤال بحثي لعل مجتمع الباحثين المتخصصين في حالة قناعتهم به يولونه الاهتمام.

هذا ويتوقع علماء المستقبليات (Futurism) وفي ظل تكنولوجيا المعلومات واستخدام جميع أفراد الشعب لشبكة الانترنت أو شبكة محلية مقفلة لهذا الشعب، أن البرلمان سوف يتكون من الجميع دون ما تمثيل وساعتها ربما يتحقق حلم أفلاطون حكم الشعب بواسطة الشعب كل الشعب. فهل ديمقراطية الواقع الافتراضي ستكون إحدى مفاجآت عصر العولمة، خاصة وأن علماء المستقبليات أيضاً ينبئون بما يسمى بدولة الواقع الافتراضي على غرار طب الواقع الافتراضي وتعليم الواقع الافتراضي وشرطة الواقع الافتراضي . . . إلخ. والتي تمارسها البشرية الآن.

ـــ الرأي العام

لا أحد ينكر أهمية الرأي العام للحاكم وللحكومة من أجل اتخاذ القرارات المناسبة، والعلاقة بين الرأي العام والسلام الاجتماعي والاستقرار ورضا المواطنين أمر يصعب انكاره. ولدراسة الرأي العام من وجهة نظر الباحث مدخلان، مدخل يمكن أن نسميه بالمدخل الخفي أو التحتي أو الأمني . . . إلخ. ، حيث جمع البيانات الخاصة بالرأي العام دون أن يشعر المواطن بطريقة مباشرة. المدخل الآخر هو إنتشار مراكز دراسات الرأي العام والتي تقوم بجمع البيانات بطرائق شتى أهمها مقابلة المواطنين مباشرة أو الاتصال بهم للحصول على البيانات عن موضوع أو موضوعات معينة.

ومن خبرة سابقة للباحث فإن كلا المدخلين هام جداً حيث يمكن الحصول على معلومات عن الرأي العام تتصف بالدقة والمصداقية وأن

الارتكان على أحدهما فقط ربما تصاحبه مخاطرة قد تؤثر على السلام الاجتماعي لاحقاً.

العالم العربي يعاني من ندرة شديدة لمراكز ودراسات الرأي العام وتلك المتوفرة لا تبدو فعاليتها ملموسة وفي رأينا أن دراسات الرأي العام هي المكمل الهام والأساسي لجميع أنواع الديمقراطيات بما فيها ديمقراطية البحث العلمي المشار إليها سابقاً.

ومرحلياً وإلى أن تقر مراكز ودراسات الرأي العام العربية فإن الباحث الحالي(*) نجح في بناء نظام بسيط لقياس الرأي العام في نطاق المحافظة التي عمل لها مستشاراً لدراسات الرأي العام والسلام الاجتماعي، وبامكانيات بسيطة تمثلت في تليفون مزود بآنسرماشين (Answer Machine) واستمارة صممت لتفريغ مكالمات المواطنين تتسم بالبساطة والقابلية للتخزين بالحاسب الآلي ونجح في أن يرصد الرأي العام للمواطنين بل عرض مشاكلهم على محافظ الإقليم أول بأول يومياً مع امكانية دراسة اتجاهات الرأي العام من يوم لآخر حسب متغيرات وعوامل عديدة، وفي ظل هذه الفكرة تمكن المواطن من الاتصال مباشرة بالحاكم دون وسيط أو ممثل، تماماً كما يتم بالمملكة العربية السعودية وغالبية دول الخليج، حيث المواطن وجهاً لوجه في حضرة الحاكم دون وسيط. ليتنا نقدم للغرب ديمقراطيتنا وبطريقة منهجية يفهمها ـ ديمقراطية الباب المفتوح ـ إن لنا تقاليدنا الرفيعة السامية التي يجب الدفاع عنها في عصر العولمة والتي سقطت فيها الجغرافيا بمعناها التقليدي المتعارف عليه.

(*) الباحث عمل مستشاراً لأحدى المحافظات المصرية لدراسات الرأي العام والسلام الاجتماعي لفترة لم تزيد على نصف عام.

إن العلاقة بين الديمقراطية والرأي العام والحرية فيما بينها وبين الإرهاب أمر متوقع ولكنه في حاجة إلى مزيد من الدراسة والبحث خاصة الأمبيريقي منه .

ب ـ الإرهاب في علاقته المتوقعة مع متغيرات وعوامل أخرى

يمكننا أن نجمل وفي عجالة الحديث عن متغيرات وعوامل أخرى ذات علاقة متوقعة فيما بينها وبين الإرهاب ، هذه المتغيرات والعوامل عند عرضها نتوقع أنها ليست في حاجة إلى تعريف بإعتبار أنها متداولة في مجال تراث ظاهرة الإرهاب والجريمة والانحراف على وجه العموم مع ملاحظة أننا حاولنا رصد مرجع أو أكثر لكل متغير أو متغيرات الظاهرة يمكن للقارئ المهتم الرجوع إليها لمزيد من التفصيل (أنظر صفحات المراجع) .

ـ الوضع الاقتصادي والإرهاب

الوضع الاقتصادي للدول التي يحمل جنسياتها الإرهابيون وكذا الوضع الاقتصادي لهؤلاء الإرهابيين كأفراد من حيث متوسط الدخل ومن حيث رضا الفرد الاقتصادي ومن حيث معدلات البطالة ومن حيث الإحساس بالفقر ومن حيث عدالة توزيع الدخل ـ كل هذه المتغيرات يعتقد البعض أن لها علاقة بالإرهاب ولكننا لم نر دراسة أمبيريقية واحدة تؤكد أو تنفي هذه المعتقدات النظرية .

العلاقة بين الحالة الإقتصادية والإرهاب ليست ببساطة الطرح النظري الذي شاع في مجال ظاهرة الإرهاب خاصة في عصر العولمة حيث الانفتاحات الاقتصادية وإنتشار تكنولوجيات الإنتاج والتي من المتوقع أن تزيد من البطالة ومن ثم ارتفاع معدلات الجرائم خاصة جرائم السرقات والرشوة والاختلاس . لذلك نحن مع جراهام (Graham,2001) في مقاله

المنشور يوم الاثنين الثامن من أكتوبر لعام ٢٠٠١ بصحيفة الجارديان حينما حذر من أن العلاقة بين الإرهاب وعولمة الاقتصاد والفقر ومعدلات الاستثمار والتنمية تبدو غاية في التعقيد. وفي رأينا أن هذا التعقيد يمكن حسابه ومن ثم حله بطرائق رياضية وإحصائية متوفرة وذلك في حالة جمع بيانات أمبيريقية دقيقة وموضوعية.

ثمة تساؤل هنا لعل البحث العلمي يوليه الاهتمام، هل الوضع الاقتصادي سبب للإرهاب أم العكس أم أن العلاقة سببية دائرية وذلك بالطبع مع تثبيت (Control) عوامل أخرى كثيرة؟

ـــ سيكولوجية الإرهاب وأزمة بناء العقل والوجدان

بعد أحداث سبتمبر الإرهابية لعام ٢٠٠١م مباشرة اجتمع مجلس إدارة رابطة علم النفس الأمريكية (American Psychological Association) (APA) وعلى حد تعبير منسقها (Monitor Staff) كاربنتر (Carpenter) والذي لخص ما يجب على الرابطة أن تفعله في مقال له تحت عنوان (العلم السلوكي يعد العدة Gears Up) لقتال أو لصراع (To Combat) الإرهاب، ولعل من أهم ما في هذا الملخص أن :

ـ حادثة سبتمبر ٢٠٠١ تعد دالة (بالمعنى الرياضي) في السلوك . . . أنها لم تكن دالة في أمور خطوط الطيران أو المباني أو التكنولوجيا، لذلك يجب الاعتقاد بكيفية منع مثل هذه الحوادث من خلال سلوك الناس، لذا يجب التركيز على دراسة السلوك في شتى المناحي سواء كان سلوك الناس في خطوط الطيران أو سلوكهم في مجال التكنولوجيا.

ـ على الفور قامت الرابطة بتكوين لجنة فرعية مهمتها تكوين قاعدة بيانات ومعلومات سيكولوجية لمساعدة مؤسسات الحكومة والبرلمان وبحث

الأسباب السيكولوجية وراء الحادث وما يترتب على هذا الحادث من مردود سيكولوجي .

ـ يجب البحث عن الأسباب والعوامل التي سببت أو التي تجعل فرداً معينا ارهاياً .

ـ هناك حاجة لتفكير ابداعي يستخدم التراث السيكولوجي الضخم والذي لم يستخدم بعد في مجال الإرهاب وهنا ما أكده كاربنتر (Carpenter, 2001) .

وعلى الرغم من أن رابطة علم النفس الأمريكية اعترفت بقصور علم نفس الإرهاب، إلا أن كرنشاوي (Crenshaw,2000) كان لها السبق في بحثها المعنون «سيكولوجية الإرهاب» أجندة للقرن الواحد والعشرين (The psychology of Terrorism : An agenda for the 21th Century) كان لها السبق في توعية العاملين في مجال البحث النفسي على وجه العموم والعاملين في مجال البحث النفسي السياسي (Political Psychology) على وجه الخصوص ـ في توعيتهم بأن البحث في الإرهاب سيكولوجيا وسياسيا والذي بدأ في السبعينيات من القرن العشرين يواجه مشكلات عضال (Persistent Problems) تتمثل في القصورات والاختلافات الواضحة في تعريف الإرهاب وفي الاخفاق في جمع بيانات أمبيريقية عنه وبالتالي الفشل حتى الآن في بناء نظرية تكاملية تفسره مع استبعاد غزو الإرهاب لاضطرابات في الشخصية (Personality Disorders) أو عدم العقلانية (Irrationality) . كما تنصح كرنشاوي أن على البحوث المستقبلية عن الإرهاب والذي اسمته بالإرهاب الجديد (New Terrorism) على هذه

البحوث والدراسات أن تختبر نقديا (Critically Examine) الزعم أو الافتراض (Assumption) القائل أن هذا الإرهاب الجديد ظهر في نهاية القرن العشرين، وعلى المحللين أن ينتهزوا فرصة تاريخ الإرهاب والتي يبلغ طولها (٣٠) سنة لإجراء دراسات مقارنة وتطورية والتي لا تنظر لأسباب الإرهاب فقط ولكن تنظر أيضاً لمدى التغير في استراتيجياته ومدى فعالية السياسات والاستراتيجيات الحكومية حياله.

أيضاً تساءل بريوس هوفمان (Hoffman) في بحث له تحت عنوان «عقل الإرهابي : نظرات متعمقة من وجهة نظر علم النفس الاجتماعي» (The mind of terrorist : Perspective from Social Psychology) عن ثلاث نقاط :

١ ـ التكتيكات، والأهداف، والأسلحة (Weapons) والتي تفضلها الجماعات الإرهابية، وما إذا كانت هذه التكتيكات والأهداف والأسلحة تختلف باختلاف أيديولوجية المجموعة الإرهابية، أيضاً التنظيم الداخلي الديناميكي لهذه الجماعات وشخصياتهم الأساسية (Key Persnalities) يجب أن تكون محل دراسة واعتبار.

٢ـ أن جميع مجموعات الإرهاب تعيش للمستقبل وعليه فالمستقبل وليس الحاضر هو الذي يحدد الحقيقة.

٣ ـ مجموعات الإرهاب العرقي (Ethno) والشيوعي (Nationalist) هي التي تعمر طويلاً كما أنها الأكثر نجاحاً في عملياتها الإرهابية وذلك في حاجة إلى تفسير من خلال دراسات مقارنة.

أزمة بناء العقل والوجدان للفرد على وجه العموم والإرهابي على وجه الخصوص يمكن النظر إليها من مداخل أخرى تتمثل في النظم التعليمية السائدة وتكملتها وربما نظيرتها في بناء العقل والوجدان وسائل الإعلام المختلفة.

هذه النظم التعليمية والإعلامية ومدى تأثيرها على تنظيم بنية عقل ووجدان الفرد في المجتمعات النامية في حاجة إلى تدعيم بحثي. أنه من المهم أن نعرف كيف يتم بناء عقلية ووجدان الإرهابي وكيف يفكر وما دور تنشئته التعليمية والإعلامية في كل ذلك وماذا كانت ابنيته العقلية والوجدانية تختلف عنها لقرنائه من الأسوياء. هناك اعتقاد أن تربية التلقين والحشو من المتوقع أن تصنع عقلاً أحادي التفكير يتسم بالديمومجماتية أو التصلب (Dogmatic).

حيث التصلب الفكري وربما عدم المرونة ومن ثم سهولة الانقياد إلى أي نقيضين، أي لا وسطية، لذلك فإن الغلو في الدين أو الاعتقاد عند الإرهابي من المتوقع أن تكون له أسبابه العقلية البنيوية، وربما أيضاً البنيوية الوجدانية عنده، ويصبح الكشف الأمبيريقي عن هذه البنيويات مطلباً علمياً من أجل الوصول إلى حلول علمية تكاملية لسيكولوجية الإرهاب.

ـــ الإرهاب من حيث المقاومة والمكافحة

المتابع لحرب الإرهاب سوف يكتشف وبسهوله أن مقاومته ومكافحته على عاتق قوات الشرطة بالدرجة الأولى، ثم القوات العسكرية الأخرى متمثلة في المخابرات العسكرية أساساً وغالبية قطاعات المجتمعات تقف كأنها تشاهد فيلماً سينمائياً للرعب جد مثير، إلاّ أن بعض ارهاصات من الإعلام في مجملها في حاجة إلى دراسة نقدية كما أسلفنا.

الشكل العسكري في مقاومة ومكافحة الإرهاب لم يعد يكفي بل لم يعد الأساس، ومما يؤكد ذلك أن الصياد (١٩٩٤) اثبت أن نصيب المتغير الأمني في مقاومة ومكافحة الإرهاب من المتوقع أن لا يزيد عن (١ ـ ١٨)، أي حوالي (٥ , ٥٪) من الإسهام النسبي لمتغيرات الظاهرة. وأن أحداث سبتمبر ٢٠٠١م الأخيرة بأمريكا وأحداث كثيرة قبلها خير برهان على ذلك، على الرغم من أن البحث العلمي الأمريكي في مجال الإرهاب تنبأ بما أسماه الإرهاب الكارثة باستخدام وسائل أكثر تعقيداً كما عبر عن ذلك ديوتش (Deutch,1997)، وكما أسماها جاريت (Garrett,2001)، وقبل أحداث سبتمبر، بالليلة المرعبة (Nightmare).

كذلك حذرنا جاريت أن الاعتماد على الجيش والبوليس بواسطة الحكومات لمقاومة ومكافحة الإرهاب خاصة إذا كان إرهاباً بيولوجيا أو كيمائياً وربما ذرياً، لم يعد يكفي. نفس التحذير تقريباً توصل إليه فلاين (Flynn, 2000) حيث أنه في ظل انفتاح الحدود وتطور وسائل التهريب خصوصاً تلك التي طورها واستحدثها مهربو المخدرات والذين في علاقة ما مع الإرهاب ـ في ظل ذلك فإن تكنولوجيا حماية الحدود اصبحت مطلباً ملحاً وبشدة عن ذي قبل.

الحاجة ملحة إلى قوات طبية، نعم قوات طبية على غرار قوات عسكرية، وقوات بيولوجية، أي جيش من البيولوجيين، وقوات كيميائية، أي جيش من الكيميائيين، وقوات تكنولوجية لحرب الشبكة (Warnet) وحرب المعلومات، وجيش من رجال المطافئ، والدليل ليس ببعيد فلا تزال حرائق استراليا مشتعلة وهذه الورقة البحثية ماثلة للاخراج وقد ثبت أن هذه الحرائق لم تكن حرائق طبيعية فقط، فإن نصف هذه الحرائق يعود إلى

أعمال إجرامية وقد القت الشرطة الاسترالية القبض على ستة رجال و(١٤) مراهقاً منذ بدء الكارثة (الإهرام القاهرية، ٣ يناير، ٢٠٠٢، ص ٥). وإذا ما علنا أنه يشارك في إطفاء هذه الحرائق (٢٠) ألف شخص وأكثر من (٦٠) طائرة مروحية-إنها حرب من نوع جديد، هل ينطبق عليها ما اسماه فوكسل (Foxell,2001) الإرهاب الزراعي (Agroterrorism)، أو ما أسماه شوارتز (SchwartZ,1998)، بالإرهاب البيئي (Environmental Terrorism)، أو كما أسماه يونج (Young,1995)، بالإرهاب الإيكولوجي (Ecological).

أمر الإرهاب لا يجب أن يخدعنا كم التصورات والكتابات النظرية والصحفية التي صدرت عنه فلا يزال أمر هذه الظاهرة بحثياً يتسم بالغموض لدرجة أن هوفمان (Hoffman,1997) توصل في بحثه «الإرهاب : من يحارب من (Terrorism: Who is Fighting Whom?) إلى أن الإرهاب لا يمكن القضاء عليه بالتدخل العسكري، وأن استراتيجيات تطويق الإرهاب (Counterterroist) تكون أكثر فعالية من خلال المداخل السيكولوجية والاقتصادية والدبلوماسية. كما أن جنسن (Jensen,2001) ذهب أبعد من ذلك وبإعتبار أن الإرهاب ظاهرة تعمل في المستقبل الذي يصعب التنبوء به ولذلك اقترح طريقة منهجية للبحث أسماها (Cross-impact analysis) ويمكن أن نترجمها إلى «التحليل التأثيري العرضي أو التداخلي لدراسة التفاعلات بين اتجاهات (Trends)أربعة والتي من المحتمل أن تؤثر على مستقبل الإرهاب الدولي. هذه الأبعاد الأربعة هي : الاستخدام المتوسع لشبكة الإنترنت على المستوى الدولي، تأثيرات الدمج بين الحساسيات العرقية والدينية، ازدياد حجم الفجوة بين الاغنياء والفقراء، ودور الولايات المتحدة الأمريكية الدولي المتواصل باعتبارها القوة العظمى المهيمنة الوحيدة (World's Predominant Superpower).

مقاومة ومكافحة الإرهاب يمكن أن تتم نفسياً (سيكولوجياً) ولو إلى حين من خلال ما يسميه السيكولوجيون بالتأقلم (Coping). والتأقلم ببساطة هو قبول الإرهاب كمرض مستعص على العلاج ولكن لابد من علاجه. استراتيجية التأقلم إذا صح التعبير والتي نطرحها هنا تستلزم من الدراسات والبحوث الكثير حتى يمكن أن نعثر عليها أولاً ثم كيفية توزيع أدوار تنفيذها ثانياً ثم قياس فعاليتها ثالثاً، ولعل الأفكار التي طرحها توكر (Tucker,1996) تفيد في هذا المجال من خلال النتائج التي تحصل عليها من دراسة حادثة قطار طوكيو (Tokyo Subway) عام ١٩٩٥م ودور الدفاع المدني في هذا المجال.

لعل تذكير توكر لنا هنا يجعلنا نعمم فكرته ونسأل هل يمكن أن تؤدي الجمعيات الأهلية دوراً في هذا المجال من خلال المفهوم الواسع للمجتمع المدني (Civic Society) حيث يناط لهذه الجمعيات دوراً أساسي في التنمية بمفهومها الواسع ومنه مقاومة وربما مكافحة الإرهاب؟ الإجابة المتوقعة ربما نعم وربما نعم قوية ولكن يبقى التساؤل ماثلاً بحثياً ؟.

ـ متغيرات وعوامل ظاهرة الإرهاب ـ مجرد حصر متوقع ـ نحو تصور سببي شبكي

من خلال مراجعتنا لظاهرة الإرهاب في حدود هذه الورقة البحثية يمكن أن نعدد المتغيرات والعوامل ذات العلاقة المتوقعة فيما بينها وفيما بينها وبين الإرهاب بأنواعه المتعددة على أمل العثور على تصور نظري شبكي ينظم العلاقة بين هذه المتغيرات والعوامل ومنها الإرهاب، هذا التصور قابل للحساب ومن ثم البناء أمبريقيا موضوعياً حيث الإرهابي يمثل وحدة المعاينة

والتحليل والقياس أو انطباعياً حيث وحدة المعاينة هو الآخر سواء كان الآخر جمهوراً عادياً أو علماء اجتماع أو ضباط أمن أو دبلوماسيين أو سياسيين أو حتى الأطفال في المدارس . . . إلخ . وربما حتى كل الفئات السابقة ولكن من جنسيات أخرى .

هنا نطرح المطلب البحث العلمي الآتي:

من المتوقع أن أمريكا وحلفاءها حالياً وباسم الإرهاب سوف يتحصلون على العديد من الأسرى وعلى العديد من ملفات من قتلوا . ومن المتوقع أن مراكز الأبحاث ومعامل الأبحاث الأمريكية في شتى التخصصات خاصة الاجتماعية والسيكولوجية والاقتصادية والتربوية والعسكرية . . . إلخ، تشمر عن ساعديها لإجراء الدراسات والبحوث المتعمقة بإعتبار أن هؤلاء الأفراد والمسمون بالإرهابيين عينة بحثية يصعب أن يجود بها التاريخ مرة أخرى . هذه العينة تمثل كنزاً معلوماتياً للباحثين في شتى مناحي التخصصات وباعتبار أن أمريكا وحلفاءها مقتنعون أن الإرهاب ظاهرة دولية عولمية فإنه يجب أن تكون قواعد البيانات والمعلومات لهذه العينة متاحة على شبكة الإنترنت للباحثين والباحثات من جميع أركان المعمورة من أجل العثور على نتائج وتوصيات خدمة لسكانها من الإنسان والحيوان والنبات، وربما اليابسة أيضاً، ألسنا جميعاً وبسبب العولمة سوف نكون في قرية صغيرة؟ .

نحو تصور شبكي سببي لمتغيرات وعوامل ظاهرة الإرهاب :

الإرهاب ومتغيراته العديدة ظاهرة إنسانية، وكأي ظاهرة إنسانية فهي متعددة ومتدرجة ومتفاعلة المتغيرات والعوامل وتتبع ما يسمى بالعلية

الشبكية . صار إعتقاد وإلى وقت قريب مفاده أن ظاهرة بهذا الشكل يصعب دراستها كماً وكيفياً كما تحدث في الواقع . هذا الاعتبار لم يعد مبرراً خاصة بعد تطور علوم الرياضيات والاحصاء وبحوث العلميات والمحاكاة وتطور مناهج البحث وطرائقه سواء أن كان المدخل البحثي كمياً أوكيفياً أو كليهما معاً خاصة في وجود حواسب إلكترونية (كمبيوتر) . لذلك لم يعد هناك مبرر لدراسة مثل هذه الظواهر من منظور ذاري تجزيئ (متغير على حدة في كل مرة في علاقته بالإرهاب مثلاً) فتكنولوجيا البحث والدراسة حالياً تسمح بدراسة الظواهر في واقعها وفي تعقدها الشبكي والعبرة هي بتوفر البيانات الخاصة بالمتغيرات والعوامل الشارحة للظاهرة (الصياد، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) .

الشكل رقم (٧) يوضح تصوراً شبكياً سببيا (لا يزال في حالة الفرض Hypothesis) أمكن حصرها في حدود هذه الورقة البحثية والتي بلغ عددها (٢١) نوعاً من الإرهاب . وفي ظل حدود هذه الورقة تم حصر (٢٧) عاملاً ومتغيراً قد تكون ذات علاقة فيما بينها وذات علاقة بالإرهاب حسب نوعه . لا نستطيع أن ندعي أن كل المتغيرات والعوامل الموضحة بالشكل كلها معرفه تعريفاً جيدا يجعلها قابلة للقياس الموضوعي وهذه أيضاً اشكالية بحثية لعل الباحثون يولونها الإهتمام .

أما دلالة الخطوط المستقيمة والمنحنية بهذا الشكل فيمكن توضيحها كالآتي : الخط المستقيم ذو السهمين المتقابلين يعني أن المتغيرين أو العاملين أو المتغير والعامل في طرفي هذا الخط في حالة علاقة سببيه ذات اتجاهين، أي أن كلا المتغيرين يلعب دور السبب والنتيجة في نفس الوقت أو لاحقاً . مثال ذلك العلاقة بين العامل رقم (٣) (البطالة) في علاقته بالإرهاب من

المتوقع أن تكون العلاقة سببيه في اتجاهين فالبطالة ربما تسبب الإرهاب كما أن الإرهاب ربما يسبب البطالة أما مباشرة أو من خلال متغير وسيط مثل المتغير رقم (٢) (الوضع الاقتصادي).

أما الخط المستقيم ذو الاتجاه الواحد فإن هذا يعني أن المتغير أو العامل الذي سوف يضربه السهم (إذا جاز التعبير) يعد نتيجة للمتغير أو العامل الخارج منه الخط المستقيم (السهم). فمثلاً من المتوقع أن يكون الفساد (متغير رقم ٢٤) سبباً للإرهاب.

الخط المنحي ذو السهمين المتباعدين يعني أن المتغيرين طرفي هذا الخط المنحني في حالة علاقة ولكن لم ترق إلى السببيه ، اما لطبيعتها أو لصعوبات منهجية تحول دون حسم ذلك .

هذا وتجدر الملاحظة أن الخطوط الواصلة بين بعض متغيرات وعوامل هذا الشكل ليست الوحيدة اللازمة لتنظيم العلاقة بين مكوناته ، فهناك غيرها الكثير ولكن لم يتم تضمينها للتبسيط وإذا ما ضمنت فقد يختفي الشكل ويصعب تصوره بصرياً . قد يقول قائل ما الحل؟ من حسن الطالع وخلال عامي ٢٠٠٠ و٢٠٠١م هناك برامج للحاسب الآلي تقوم بهذا العمل بكل سهولة ويسر حيث يمكن قراءة ورؤية الشكل من خلال شاشات عرض كبيرة وحسابياً لا ضرورة لرؤيته على الإطلاق فيمكن ظهوره رمزياً في سطور تقرأ مع ملاحظة أن برنامج الحاسب الآلى هذا لا يحدد اتجاه الأسهم ، فهي قضية الباحث والبحث العلمي .

هنا يصبح التساؤل الآتي ماثلاً بحثياً : متى يكون الإرهاب نتيجة فقط ومتى يكون سبباً فقط ومتى يكون مسببا ونتيجة في نفس الوقت؟ سؤال تعتقد أن لم يجب عنه ولو انطباعياً كمياً موضوعياً فسوف يبقى أي اقتراح لسياسات أو استراتيجيات لمقاومة ومكافحة الإرهاب ضرباً من المخاطرة ويصبح الأمر ملحاً لقياس فعالية مثل هذه السياسات والاستراتيجيات بعد تفعيلها للوقوف على مميزاتها وعيوبها إن وجدت .

خطوات بناء التصور الموضح بشكل رقم (٧) في عجاله كالآتي :

١ ـ تعريف متغيرات وعوامل التصور إجرائياً (أي قابلاً للقياس) ثم بناء أدوات القياس لقياسها أن لم تكن مقاسه بالفعل كلها أو بضعها (بيانات إرشيف مثلاً) .

٢ ـ مراجعة تراث الظاهرة وتراث جميع متغيرات التصور من أجل تحديد شكل واتجاهات الخطوط ـ عمليا فإنه يتم الوصول إلى عدد محدود من التصورات توضع تحت الاختبار الرياضي أو الإحصائي .

٣ـ يتم حساب التصورات المقترحة والتي تتفاضل فيما بينها لتمثيل العلاقة بين متغيرات الظاهرة، ويتم الانتهاء رياضياً أو إحصائياً لا فضلها تمثيلاً . من المتوقع في هذه المرحلة أن تسقط بعض خطوط الشكل لعدم دلالتها ويميل الشكل نحو التبسيط .

٥ ـ يتم حساب مصداقية (Validity) التصور المنتهى إليه إحصائياً وعملياً .

٦ ـ في حالة ثبوت مصداقيته الإحصائية والعملية فإن التصور في هذه الحالة يتحول إلى ما يسمى بالنموذج (Model) .

٧ ـ هذا النموذج إذا ما ثبت واستقر من خلال دراسات عبر أزمنة متباعدة نسبياً وحسب ثقافات متعددة فإنه يتحول إلى ما يسمى بالنظرية (Theory) .

بدون أن يصل البحث العلمي في مجال ظاهرة الإرهاب إلى الخطوة رقم (٦) السابقة على الأقل (أي العثور على النموذج) فإن النقاش والنقاش بين باحثي وعلماء الظاهرة سوف يستمر ويستمر ربما يتحول الأمر إلى جدال يأتي بنتائج وتوصيات يصعب الامساك بقيمتها القرارية (Decision Value) في مجال مقاومة ومكافحة الإرهاب .

ربما يتساءل القارئ أين توصيات هذه الورقة البحثية كما هو في العادة متوقع؟ . وبهذا الصدد نقول ان عنوان هذه الورقة البحثية «الإرهاب بين الأسباب والنتائج ـ تساؤلات تبحث عن إجابة» وعلى القارئ المهتم العودة إلى متن هذه الورقة ليعرف هذه التساؤلات والتي نعتبرها توصيات بحثية

حتى تدرك هذه التساؤلات أو قل هذه التوصيات في سياقها الموضوعي.

بقى أن نقول ألم يحن الوقت لإنشاء مراكز عربية قوية لدراسات الرأي العام والسلام الاجتماعي تضع مشكلة الإرهاب والإرهابيين أحد اهتماماتها الأساسية، نعتقد ذلك.

المراجع

المراجع

أولاً : المراجع العربية

١ـ أبوحطب، فؤاد (١٩٩٩). العولمة ومستقبل العلوم الاجتماعية والانسانية. المجلة المصرية للدراسات النفسية، العدد ٢٤، المجلد التاسع، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

٢ـ الجحني، علي بن فايز (١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م). الإعلام الأمني والوقاية من الجريمة. أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.

٣ـ الجحني، علي بن فايز (١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م). (الإرهاب الفهم المفروض للإرهاب المرفوض). أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.

٤ـ الصياد، عبد العاطي أحمد (١٩٩٤). الإرهاب بين الأسباب والنتائج، مشروع محاضرة، ندوة الإرهاب بين الأسباب والنتائج، كلية التربية، جامعة قناة السويس، الإسماعيلية.

٥ـ الصياد، عبد العاطي أحمد (١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م). النماذج الإحصائية في البحث التربوي والنفسي العربي بين ما هو قائم وما يجب أن يكون. رسالة الخليج العربي، العدد السادس عشر، السنة الخامسة، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض.

٦ـ الصياد، عبد العاطي أحمد (١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م). طريقة بوكس وجينكز في نمذجة السلاسل الزمنية ـ دراسة تطبيقية على حوادث المرور بالمملكة العربية السعودية. مركز أبحاث مكافحة الجريمة، وزارة الداخلية السعودية، الرياض.

٧ـ الصياد، عبد العاطي أحمد والمالك، عبد العزيز مالك (١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م). مهارات الاتصال والتواصل لرجل الأمن العربي. الأمن والحياة، شوال/ يناير، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.

٨ـ العشماوي، فوزية (١٩٩٨). مفهوم العولمة والمفاهيم الإسلامية. جريدة الأهرام، ٤ سبتمبر، ١٩٩٨، القاهرة.

٩ـ الكردي، محمود السعيد (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م). إلى وزراء الثقافة في الدول الإسلامية: «الترجمة» الإنجليزية للقرآن.. خطر!!. جريدة الأخبار، الأربعاء ١١ شوال ١٤٢٢هـ/ ٢٦ ديسمبر.

١٠ـ بدر، عبد المنعم محمد (١٩٩٦). رجل الشرطة والمواطن والاغتراب. الفكر الشرطي، المجلد الرابع، العدد الرابع، شوال ١٤١٦هـ ـ مارس ١٩٩٦م، الشارقة.

١١ـ جريدة الأهرام (٢٠٠١م). تقرير أمريكي يتهم الدول الإسلامية بالابتعاد عن الديمقراطية. الاهرام، ١٠/ ١٠/ ١٤٢٢هـ ـ ٢٥/ ١٢/ ٢٠٠١م، السنة ١٢٦، العدد ٤٢٠٢٢، طبعة أولى، القاهرة.

١٢ـ جريدة الأهرام (٢٠٠٢م). كوارث العالم الجديد: ٢٠ ألف رجل إطفاء و٦٠ طائرة تكافح النيران المشتعلة حول سيدني. الاهرام، ٣٠ يناير، ٢٠٠٢م، صفحة ٥، طبعة أولى، القاهرة.

١٣ـ جريدة الشرق الأوسط (١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م). «طائرة الصبي» رفعت الاستنفار الأمني في أمريكا وبوش تابعها لحظة بلحظة. الشرق الأوسط، ٧ يناير، ٢٠٠٢م، صفحة ١، السنة الرابعة والعشرون، العدد ٨٤٤١، لندن.

١٤ـ شتا، السيد علي (١٩٩٧). باثولوجية العصيان والاغتراب، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية.

١٥ـ عيد، محمد فتحي (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩). واقع الإرهاب في الوطن العربي. أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.

١٦ـ عيد، محمد فتحي (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م). الأساليب والوسائل التقنية التي يستخدمها الإرهابيون وطرق التصدي لها ومكافحتها. أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.

ثانياً : المراجع الأجنبية

17. Beres, Louis (1995). The meaning of terrorism for the military commander. Comparative Strategy, 14(3); 287-300.

18. Bouchat, Clarence (1996). A fundamentalist Islamic threat to the West. Studies in Conflict and Terrorism, 19:339-352.

19. Bowers, Stephen & Kimberly keys (1998). Technology and terrorism: The New threat for millennium. Conflict Studies, May 1998:1-24.

20. Brophy-Baermann, Bryan & John Conybeare (1994). Retaliating against terrorism: Rational expectations and the optimality of rules versus discretiore. American Journal of Political Science, 38(1): 196-210.

21. Byman, Daniel (1998). The Logic of ethnic terrorism. Studies in Conflict and Terrorism, 21:149-269.

22. Carpenter, Siri (2001). Behavioral Science gears up to combat terrorism. Monitor on Psychology, Volume 32, No. 10, November 2001.

23- Carter, Ashton, et. al. (1998). Catastrophic terrorism. Foreign Affairs, 77(6):80-94.

24- Chalecki, Elizabeth (2002). A new Vigilance Identifying and reducing the risks of environmental terrorism. Global Environmental Politics, (Forthcoming), Htt:// www.gechs.uci.edu/terbibohtm.

25- Chyba, Christopher (2001). Biological Terrorism and Public health. Survival, 43(1):93-106.

26- Crenshaw, Martha (2000). The Psychology of terrorism : an agenda for the 21Th. century. Political Psychology, 21(2):405-420.

27-Deutch, John (1997). Terrorism. Foreign Policy, Fall: 10-22.

28- Emerson, Steven (1991). When earth takes the hit:Environmental Terrorism Throughout History. International Wildlife, 21(4):38-41.

29- Emerson, Steven (1995). The Other Fundamentalists: A Look inside the radical Islamist Network within the US. New Republic, 212(24):21-28.

30- Enders, Walter & Todd Sandler (1993). The effectivnvness of antiterrorism policies : A vector - autoregression - Intervention analysis. American Political Science Review, 87(4):829-844.

31- Falkenrath, Richard (2001). Problems of preparedness: US readiness for a domestic terrorist attack. International Security, 25(4): 147-185.

32- Foxell, Joseph (2001). Current trends in agroterrorism and

their potential impact on food security. Studies in Conflict and Terrorism, 24(2): 107-129.

33- Garrett, Laurie (2001). The nightmare of bioterrorism. Foreign Affairs, 80(1):76-89.

34- Graham, Edward M. (2001). Globalisation as a force for good. The Guardian, Monday October 8, 2001.

35- Halkides, Mihalis (1995). How not to study terrorism. Peace Review, 7 (3/4):253-260.

36- Hamilton, Lawrence & James Hamilton (1983). Dynamics of terrorism. International Studies Quarterly, 27(1): 39-54.

37- Henderson, Donald (1999). The Looming threat of bioterrorism. Science, 283(5406):1279.

38- Hoffman, Bruce (1995). “Holy Terror". The implications of terrorism motivated by religious imperative. Studies in Conflict and Terrorism, 18(4): 271-285.

39- Hoffman, Bruce (1997). Terrorism : Who is fighting Whom?. World Policy Journal, 14(1): 97-104.

40- Hoffman, Bruce (1999). The mind of the terrorist: Perspectives from Social psychology. Psychiatric Annals, 29(6); 337-340.

41- Jensen, Canl (2001). Beyond the tea leaves: Futures Research and Terrorism. American Behavioral Scientist, 44(6):914-936.

42- Lewis, Bernard (1990). The roots of Muslim rage. Atlantic Monthly, 266(3):47-60.

43- Lluma, Diego (1999). Terrorism : low probability, high

consequence. Bulletin of the Atomic Scientists, 55(6)14-16.

44- Reid, Edna O. F. (1993). Terrorism research and the diffusion of ideas. Knowledge, Technology & Policy, Vol. 6, Issue 1, P, 17.

45- Schwartz, Daniel (1998). Environmental terrorism; analyzing the concept. Journal of Peace Research, 35(4):483-497.

46-Tucker, Jonathan (1996). Chemical-biological terrorism: Coping with a new threat. Politics and the Life Sciences, 15(2): 188-189.

47- U.S. Department of State (2001). Patterns of Global Terrorism (2000), Released by the Office of the Coordinator Counterterrorism, April, 30.

48- Young, Robert (1995). “Monkey wrenching" and the processes of democracy. Environmental Politics, 4(4):199-215.

49- Zanini, Michele (1999). Middle Eastern terrorism and netwar. Studies in Conflict and Terrorism, 22(3):247-256.